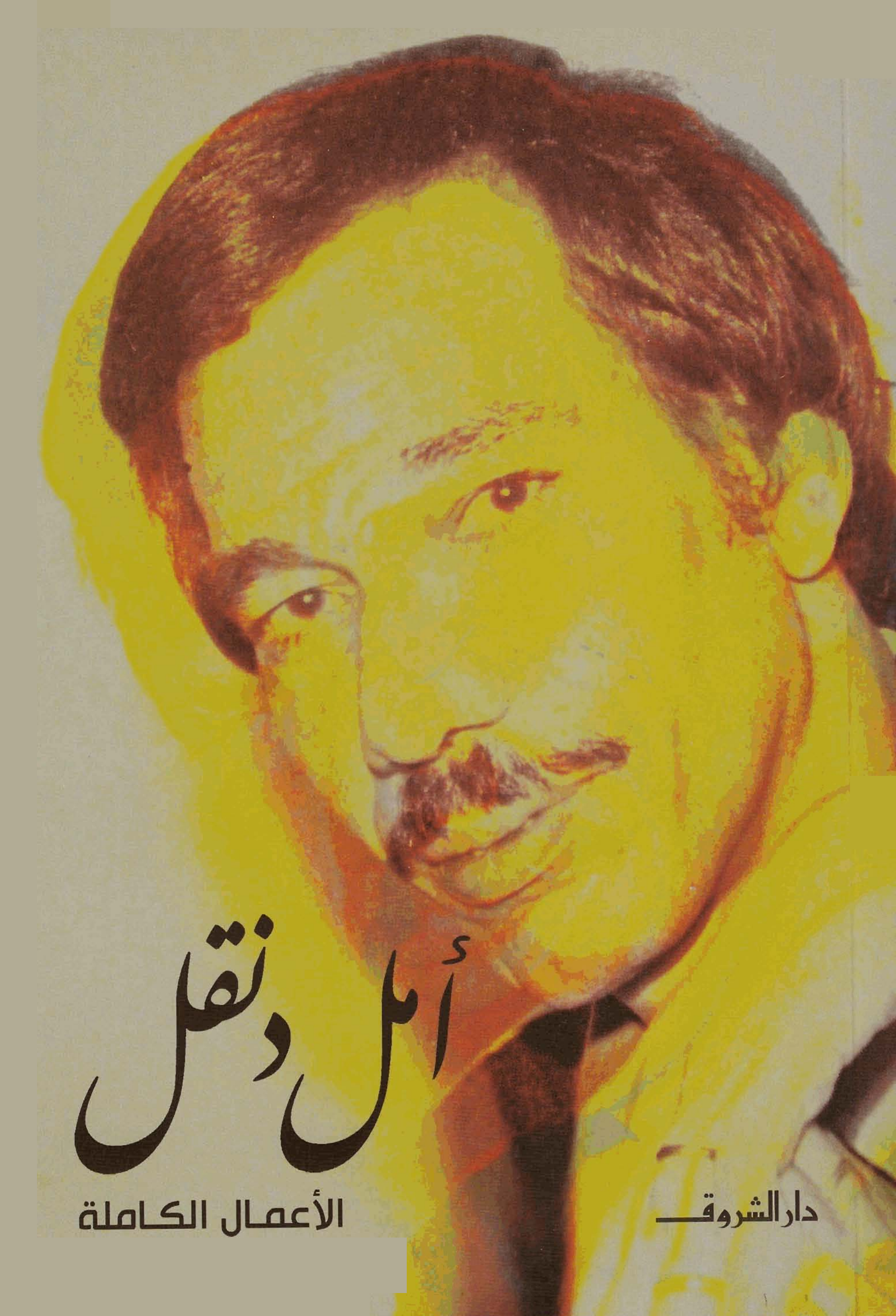


أمل دنقل
الأعمال الكاملة
دار الشروق

أمل دنقل

أمل دنقل

الأعمال الكاملة

تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي

طبعة دار الشروق الأولى ٢٠١٠

الطبعـة الثانية ٢٠١٢

تصنيف الكتاب: أدب/ شعر

٨ شـارع سيبويـه المصـري

مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر

تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩

www.shorouk.com

رقـم الإيداع ٢٠٧٨٧/ ٢٠١٠

ISBN 978-977-09-2936-0



الأعمال الكاملة

دار الشروق



المحتويات

مقتل القمر

البكاء بين يدي زرقاء اليمامة

قصائد متفرقة



مقتل القمر

الإهداء

إلى الإسكندرية...

سنوات الصبا!



بـــــــراءة

أحسُّ حيال عينيكِ

بشيءٍ داخلي يَبكي

أحس خطيئة الماضي تعرَّت بين كفيكِ

وعنقودًا من التفاح في عينين خضراوين

أأنسي رحلة الآثام في عينين فردوسين؟!

وحتى أين؟!

تعذّبني خطيئاتي.. بعيدًا عن مواعيدك

وتحرقني اشتهاءاتي.. قريبًا من عناقيدك!

وفي صدري

صبيٌّ أحمرُ الأظفار والماضي

يخطط في تراب الروح

في أنقاض أنقاضي!

وأنظر نحو عينيك

فترعشني طهارة حب

وتغرقني اختلاجة هُدْبْ

وألمح ـ من خلال الموج ـ وجهَ الربْ

يؤنبني

على نيران أنفاسي يقلبني

وأطرق...

والصراع المرّ في جوفي يعذبني!!

... ...

أحدق في خطوط الصيف في شفتيكِ:

يعوي داخلي الحرمان

(لهيب آدميّ الشوق.. مصباحان يرتعشان)

وأهرب نحو عينيك:

يطالعني الندى والله والغفران!

وأسقط بين نهديك

لتحترق الرؤى

وأبدل جلدي الثعبان

وأغرق فيهما بالنار والشكِ

فتشوي رغبتي شيًّا

وأغمض عنك عينيا

وأسند رأسي الملفوح في صدرك

فقد تترمّد الأفكار في جمرك

وأحرق جنة المأوى

... ...

فيا ذات العيون الخضْر

دعي عينيك مغمضتين فوق السرِّ

.. لأصبح حرْ!!

طفلتها

(.. مرت خمس سنوات على الوداع
وفجأة.. رأى طفلتها!)

لا تفرِّي من يدي مختبئه

خبت النار بجوف المدفأه!

أنا..

(لو تدرين)

من كنت له طفلة

لولا زمان فاجأه

كان في كفّيَّ ما ضيعته

في وعود الكلمات المرجأه

كان في جنبيَّ

لم أدْرِ به!

.. أوَ يدري البحر قدر اللؤلؤه؟

إنما عمرك عمر ضائع من شبابي

في الدروب المخطئه

كلما فزت بعام

خسرت مهجتي عامًا

.. وأبقت صدأه

ثم لم نحمل من الماضي

سوى ذكريات في الأسى مهترئه

نتعزى بالدجى

إن الدجى للذي ضل مناه...

تكئه!!

* * *

العيون الواسعات الهادئه

والشفاه الحلوة الممتلئه:

فتنة طفليّة

أذكرها

وهي عن سبعة عشر منبئه

إنني أعرفها

فاقتربي

فكلانا في طريق أخطأه

ساقني حمقي

وفي حلقي مرارة شوق

وأمانٍ صدئه

فابسمي يا طفلتي

(منذ مضت.. وابتسامات الضحى منطفئه)

ثرثري

(صوتك موسيقى حكت صوتها ذا النبرات المدفئه)

ـ «إحكِ لي أحجيةً»

ـ لم يبق في جعبتي

غير الحكايا السيئه

فاسمعيها يا ابنتي مسرعةً

عبرت فيها الليالي.. مبطئه

* * *

«كان يا ما كان»

أنه كان فتى

لم يكن يملك إلا.. مبدأه

وفتاة ذات ثغر يشتهي قبلة الشمس

ليروي ظمأه

خفق الحب بها.. فاستسلمت

وسرى الحب به.. فاستمرأه

بهما قد صعدت مركبة

للضحى

في قصة مبتدئه

وهو في شرفته مرتقب

وهي في شباكها.. متكئه

نغمٌ منقسمٌ

لا ينتهي حُلمٌ

إلا وحلم بدأه

صعدا

سلمةً..

سلمة..

في قصور الأمنيات المنشأه

لم تكن تملك إلا طهرها

لم يكن يملك إلا مبدأه

* * *

ذات يوم

كان أن شاهدها

من له أن يشتري نصف امرأه

حينما أومأ لها مبتسمًا

فأشاحت عنه

كالمستهزئه

اشتراها في الدجى

صاغرة

زفت السبعة عشر.. للمئه

لم يكن شاعرها فارسها

لم يكن يملك إلا..

التهنئه

لم يكن يملك إلا مبدأه

ليس إلا..

كلمات مطفأه

* * *

أترى تدرين من كان الفتى؟

فهو يدري الآن

يدري خطأه!

والتي بيعت وفي معصمها الوشم

فاعتاد الفؤاد الطأطأه!!

ومن النخاس؟

هل تدرينه؟

وهو ملاَّح تناسى مرفأه

إنني أكرهه

يكرهه ضوء مصباح نبيل أطفأه

غير أن الحقد...

(يا طفلته)

كان في صوتك شيء.. رقأه

والمسيح المرتجى: قاتله..

كان في عينيك عذر برّأه!

والذي ضاع من العمر سدى

جسدت فيك الليالي نبأه!

* * *

من لتنهيد عذاب محرق

كلما داويت جرحًا، نكأه

فابسمي يا طفلتي

منذ مضت..

وابتسامات الضحى منطفئه

إنما العمر هباء

من سوى طفلة مثلك

تجلو صدأه!

المطر

وينزل المطر

ويغسل الشجر

ويثقل الغصون الخضراء بالثمر

... ...

ينكشف النسيان

عن قصص الحنان

عن ذكريات حب

ضيعه الزمان

لم تبق منه إلا النقوش في الأغصان

قلب ينام فيه سهم

وكلمتان

تغيب في عناق

جنبي.. فراشتان

وأنت يا حبيب

طير على سفر

* * *

ويرحل المطر

ويذبل الشجر

ويغمر الغبار النقوش والصور

... ...

وتهبط الأحزان

فتمحى الألوان

والقلب

والخطوط العرجاء

والأسمان

وينخر السوس القديم في العيدان

وترحل الطيور الزرق

بلا عنوان

تسأل عن هوانا

تسأل عما كان

.. ما كان يا حبيبي

حلم.. وقد عبر!

* * *

وينزل المطر

ويرحل المطر

وينزل المطر

ويرحل المطر

والقلب يا حبيبي

ما زال ينتظر

قلبي والعيون الخضر

صبيًا كان

شددت على يديه القوس

أعلمه الرماية

(كي يفوق بقية الأقران)

«فلما اشتدّ ساعده..»

* * *

ثلاث سنين

أبارز قلبي المفتون

يجمع بيننا ليل.. ويفصلنا نهار قتال

تطل عليَّ ـ خلف لثامه ـ عينان خضراوان

(كأوردةٍ تلوّن بطن ركبة عانس عجفاء)

وقبلا.. كانتا في وجه قديسة!

* * *

ثلاث سنين

ينازلني.. أنازله

لهاث ساخن.. وغبار

يرفّ على الفم المزموم..

ثم يرين فوق العشب والأسوار

وكان الفخ قرب الباب

سقطتُ ملوَّث الرئتين والأثواب

أشاحت عني العينان

وكنت تراب

وكان يدير لي كتفيه في استهزاء

.. وتعرف أنت

ماذا يفعل المغلوب مثلي

حين يوليه العدو الظهر..

وفي كفي بقايا سهم

* * *

وطفلاً كنت.. كالأطفال

ومركبة من الكلمات تحملني لعرش الشمس

وقلدني الهوى سيفه

«إلى ذات العيون الخضر»

وكوكبة من الربات مصطفهْ

«إلى ذات العيون الخضر»

وقريتنا ـ وراء العين ـ توراة من الصمت.. وثرثرة من الغدران

وصوت الطبل

يدقّ لينزع القمر القديم نقابه المعتل

وطفل شاحب ينهض

تزغرد نسوة لختانة المدسوس في جلبابه الأبيض

وفوق الجسر

غلام لاهث يعدو

ليمسك مهرة فرّت وفي سيقانها يتعلق القيد

ومركبتي تشد الأفق مخروطية الدرب

«إلى ذات العيون الخضر»

تلال السحب تهرب من ورائي كومة.. كومة

وأنسام تضم عباءتي بأنامل الرحمة

ومن ضمهْ

إلى ضمهْ

تنسمنا قلاع الحب والحكمه

ولكنا على الأبواب

أطل نتوء

(كأنف قد تورم فوق وجه العازف السكير)

على العجلات مد لسانه الموبوء

تهاوت فيه مركبتي

فعُد يا صاحب الكلمات

كأسياخ الحديد توهجت في النار

تمرّ على عيونك أحرف الكلمات

«هوانا مات»

بلغنا قمة القمه

لنهبط في انحدار الجانب الآخر

ومن عثرة إلى عثره

تلقانا تراب الأرض في راحاته البرَّه

ودارت قهوة الموتى

رأيت يديك هذا اليوم

معطرتين.. ناعمتين

ولكني رأيت على أظافرك الدم الملتم

وفي المجرى الذي ينساب في النهدين

مددت يديك قبيل النوم

عثرت على حطام الخنجر المسموم

والقفاز!!

يا وجهها

شاء الهوى أن نلتقي.. سهوا
كم كنت أفتقدكْ
يا وجهها الحلوا

* * *

كل الذي سميته: شدوا
من قبل ما أجدكْ..
أضحى على شفة الصبا.. لغوا

* * *

كن لي كما أهوى
أمطر عليَّ الدفء والحلوى

ويدي تبثُّ سماتك الشجوا

فيئن مرتعدا

* * *

يا حينما أعدك

الصيف فيك يعانق الصحوا

عيناك ترتخيان في أرجوحة

والثغر مرتعش بلا مأوى

وعذابه: سلوى

إن جئتُ أنفض عنده الشكوى

* * *

في الليل أفتقدكْ

فتضيء لي قسماتك النشوى

تأتي خجول البوح مزهوّا

وعلى ذراع الشوق أستندك

وأحس في وجهي لظى الأنفاس

حين يلفني رغدك!

وأنام!

تحملني رؤاك لنجمة قصوى

نترفق الخطوا

نحكي فأرشف همسك الرخوا

ويهزني صحوي.. فأفتقدك

لكن بلا جدوى

بلا جدوى!

* * *

يا وجهها الحلوا

أمطر.. فإني مجدب السلوى

ما زلت لا أقوى

أن أنقل الخطوا

إن فاتني سَنَدك

* * *

يا وجهها الحلوا

ما زلت أفتقدك

ما زلت أفتقدك

مقتل القمر!

.. وتناقلوا النبأ الأليم على بريد الشمس

في كل المدينهْ:

«قُتِلَ القمر»!

شهدوه مصلوبًا تدلى رأسه فوق الشجرْ!

نهب اللصوص قلادة الماس الثمينهْ

من صدره!

تركوه في الأعواد..

كالأسطورة السوداء في عينيْ ضرير

ويقول جاري:

ـ «كان قديسًا، لماذا يقتلونه؟»

وتقول جارتنا الصبيه

ـ «كان يعجبه غنائي في المساء

وكان يهديني قوارير العطور

فبأي ذنب يقتلونه؟!

هل شاهدوه عند نافذتي ـ قبيل الفجر ـ يصغي للغناء؟!»

* * *

وتدلت الدمعاتُ من كل العيون

كأنها الأيتام ـ أطفال القمر

وترحموا..

وتفرقوا..

فكما يموت الناس.. مات!

وجلست..

أسأله عن الأيدي التي غدرت به

لكنه لم يستمع لي..

.. كان مات!

* * *

دثرْتُه بعباءته

وسحبت جفنيه على عينيه..

حتى لا يرى من فارقوه!

وخرجت من باب المدينه

للريف:

يا أبناء قريتنا أبوكم مات

قد قتلته أبناء المدينة

ذرفوا عليه دموع إخوة يوسف

وتفرَّقوا

تركوه فوق شوارع الأسفلت والدم والضغينه

يا إخوتي: هذا أبوكم مات!

- ماذا؟ لا.. أبونا لا يموت

بالأمس طول الليل كان هنا

يقص لنا حكايته الحزينه!

- يا إخوتي بيديّ هاتين احتضنته

أسبلتُ جفنيه على عينيه حتى تدفنوه!

قالوا: كفاك.. اصمتْ

فإنك لست تدري ما تقول

قلت: الحقيقة ما أقول

قالوا: انتظرْ

لم تبق إلا بضع ساعات...

ويأتي!

* * *

حطَّ المساء

وأطلّ من فوق القمر

متألّق البسمات.. ماسيُّ النظر

ـ يا إخوتي هذا أبوكم ما يزال هنا

فمن هو ذلك الملقى على أرضِ المدينه؟

قالوا: غريب

ظنَّه الناسُ القمر

قتلوه.. ثم بكوا عليه

ورددوا: «قُتِلَ القمر»

لكن أبونا لا يموت

أبدًا أبونا لا يموت!

شيء يحترق

شيء في قلبي يحترقُ

إذ يمضي الوقت.. فنفترقُ

ونمدُّ الأيدي

يجمعها حبٌّ

وتفرِّقُها.. طرقُ

* * *

.. ولأنتِ جواري ضاجعة

وأنا بجوارك.. مرتفقُ

وحديثك يغزله مرحٌ

والوجه.. حديثُ متسقُ

تُرخين جفونا

أغرقها سحر

فطفا فيها الغرقُ

وشبابك حانٌ جبليٌّ

أرز.. وغدير ينبثق

ونبيذٌ ذهبيّ وحدي

مصطبحٌ منه ومغتبقُ

وتغوص بقلبي نشوتهُ

تدفعني فيكِ.. فنلتصقُ

وأمدُّ يدين معربدتين

فثوبك في كفي..

مِزَقُ

وذراعك يلتفّ

ونهرٌ من أقصى الغابِة يندفقُ

وأضمُّك

شفةً في شفةٍ

فيغيب الكون، وينطبقُ

......

وتموتُ النارُ

فنرقبُها

بجفونٍ حارَبها الأرق

خجلى!

وشفاهك ذائبة

وثمارُك نشوى تندلقُ

ونعود نثرثر

كبحيرات هادئة

غطاها الورق

ويمر الوقت فلا ندري

ويقيم محافلَه الشفقُ

وتدقُّ الساعة معلنةً

فيهبُّ بنا صحو قلقُ

ويحين وداعٌ

وقتيٌّ

وأراه كحلمٍ ينسحقُ

يرتدّ الصمت لموضعهِ

ويعود إلى الأذن الحلقُ

ونمدُّ الأيدي

راغمةً

نتشاكى العُتْبَ

وتنزلق!

وأحسُ بشيء في صدري

شيءٍ كالفرحةِ

يحترقُ!

قالت

قالت: تعال إليّ

واصعد ذلك الدّرَجَ الصغيرْ

قلتُ: القيود تشدُّني

والخطو مضنىً لا يسير

مهما بلغتُ فلست أبلغُ ما بلغتِ

وقد أخور

درجٌ صغير

غير أن طريقه.. بلا مصير

فدعي مكاني للأسي

وامضي إلى غدك الأمير

فالعمر أقصرُ من طموحي

والأسى قتَل الغدا

* * *

قالت: سأنزل

قلت: يا معبودتي لا تنزلي لي

قالت: سأنزل

قلت: خطوك منتهٍ في المستحيل

ما نحن ملتقيان

رغم توحّد الأملِ النبيل

... ...

نزلت تدقّ على السكون

رنينَ ناقوسٍ ثقيل

وعيُوننا متشابكاتٌ في أسى الماضي الطويل

تخطو إليَّ

وخطوُها ما ضلّ يومًا عن سبيل

وبكى العناق

ولم أجد إلا الصدى

إلا الصدى

مـــاريَّـــــا

ماريًّا.. يا ساقيةَ المشرب

الليلةُ عيد

لكنا نخفي جمراتِ التنهيد!

صُبِّي النشوةَ نخبًا.. نخبا

صُبِّي حبًّا

قد جئنا الليلة من أجلك

لنريحَ العمرَ المتشردَ خلفَ شعاعِ الغيبِ المهلك

في ظل الأهدابِ الإغريقيه!

ما أحلى استرخاءة حزنٍ في ظلِّك

في ظلِّ الهدبِ الأسود

... ...

ـ ماذا يا ماريّا؟

ـ الناس هنا كالناس هنالك في اليونان

بسطاء العيشة.. محبوبون

ـ لا يا ماريّا

الناس هنا ـ في المدن الكبرى ـ ساعات

لا تتخلفْ

لا تتوقفْ

لا تتصرفْ

آلات.. آلات.. آلات

كُفي يا ماريّا

نحن نريد حديثًا نرشف منه النسيان!

... ...

ماذا يا سيدة البهجه؟

العام القادم في بيتي زوجه؟!

قد ضاعت يا ماريا من كنت أود

ماتت في حضن آخر

لكن ما فائدة الذكرى؟!

ما جدوى الحزن المقعد؟!

نحن جميعا نحجب ضوء الشمس ونهرب

كُفّي يا ماريّا

نحن نريد حديثًا نرشف منه النسيان

... ...

قولي يا ماريّا

أوَما كنت زمانًا طفله

يُلْقي الشعر على جبهتها ظله

من أول رجل دخل الجنة واستلقى فوق الشطآن؟

علقت في جبهته من ليلك خصله

فضَّ الثغر بأول قبله

أوَما غنيت لأول حبّ

غنينا يا ماريّا

أغنية من سنوات الحب العذب

... ...

ما أحلى النغمه

لتكاد تترجم معناها كلمة.. كلمه

غنيها ثانيةً.. غني

(أوف

لا تتجهم

ما دمت جواري.. فلتتبسم

بين يديك وجودي كنز الحب

عيناي الليل.. ووجهي النور

شفتاي نبيذ معصور

صدري جنتك الموعودة

وذراعاي وساد الرب

فتبسم للحب.. تبسم

لا تتجهم

لا تتجهم)

... ...

ما دُمت جوارك يا ماريّا لن أتجهم

حتى لو كنتُ الآن شبابًا كان

فأنا مثلك كنت صغيرًا

أرفع عيني نحو الشمس كثيرًا

لكني منذ هجرت بلادي
والأشواقْ
تمضغني.. وعرفتُ الإطراق
مثلك منذ هجرت بلادك
وأنا أشتاق
أن أرجع يومًا ما للشمس
أن يورق في جدبي فيضان الأمس

... ...

قولي لي يا ماريّا
العام القادم يبصر كلٌّ منا أهله
كي أرجع طفلاً. وتعودي طفله
لكنا الليلة محرومون
صُبِّي أشجانك نخبًا.. نخبًا
صُبِّي حبا
فأنا ورفاقي
قد جئنا الليلة من أجلك!

استريحي

استريحي

ليس للدّور بقيَّةْ

انتهت كل فصول المسرحيه

فامسحي زيف المساحيق

ولا ترتدي تلك المسوح المرْيَميّه

واكشفي البسمة عما تحتها

من حنين.. واشتهاء.. وخطيه

كنتِ يومًا فتنة قدستها

كنت يومًا

ظمأ القلب... وريِّه

* * *

لم تكوني أبدًا لي

إنما كنت للحب الذي من سنتيْن

قطف التفاحتين الحلوتْين

ثم ألقى

ببقايا القشرتين

وبكى قلبك حزنًا

فغدا دمعةً حمراء

بين الرئتين

وأنا.. قلبي منديل هوى

جففت عيناك فيه دمعتين

ومحت فيه طلاء الشفتين

وَلوَثْه..

في ارتعاشات اليدين

* * *

كان ماضيك جدارًا فاصلاً بيننا

كان ظلالاً شَبَحيه

فاستريحي

ليس للدور بقيه

أينما نحن جلسنا

ارتسمت صورة الآخر في الركن القصي

كنت تخشين من اللمسه

أن تمحى لمسته في راحتي

وأحاديثك في الهمس معي

إنما كانت إليه..

لا إليَّ

* * *

فاستريحي الآن

لم يبق سوى حيرة السير على المفترقِ

كيف أقصيك عن النار

وفي صدرك الرغبة أن تحترقي؟!

كيف أدنيك من النهر

وفي قلبك الخوف وذكرى الغرقِ؟!

أنا أحببتك حقًا

إنما لست أدري

أنا.. أم أنت الضحيه؟

فاستريحي.. ليس للدور بقيه

العار الذي نتقيه

هذا الذي يجادلون فيه

قُولي لهم مَن أمه، ومَن أبوه

أنا وأنت..

حين أنجبناه ألقيناه فوق قمم الجبال كي يموت!

لكنه ما مات

عاد إلينا عنفوان ذكريات

لم نجترئ أن نرفع العيون نحوه

لم نجترئ أن نرفع العيون

نحو عارنا المميت

* * *

ها طفلنا أمامنا غريب

ترشقه العيون والظنون بازدرائها

ونحن لا نجيب

(وربما لو لم يكن من دمنا

كنا تبنيناه راحمين نبله المهين)

لكنه.. ما زال يقطع الدروب

يقطع الدروب

وفي عيوننا الأسى المريب

* * *

«أوديب» عاد باحثًا عن اللذيْن ألقياه للردى

نحن اللذان ألقياه للردى

وهذه المرة لن نضيعه

ولن نتركه يتوه

ناديهِ

قولي إنك أمه التي ضنت عليه بالدفء

وبالبسمة والحليب

قولي له إني أبوه

(هل يقتلني؟) أنا أبوه

ما عاد عارًا نتقيه

العار: أن نموت دون ضمة

من طفلنا الحبيب

من طفلنا «أوديب»

رسالة من الشمال

بعمرٍ ـ من الشوق ـ مخشوشنِ

بعرق من الصيف لم يسكنِ

بتجويف حبٍ.. به كاهن

له زمن.. صامت الأرغنِ

أعيش هنا

لا هُنَا.. إنني

جهلتُ بكينونتي مسكني

غدي: عالم ضل عنِّي الطريق

مسالكه للسدى تنحني

علاماته.. كانثيال الوضوء

على دنسٍ منتنٍ.. منتنِ

تفح السواسن سم العطور

فأكفر بالعطر والسوسنِ

وأفصد وهمي.. لأمتصه

فيمتصني الوهم.. يمتصني

* * *

ملاكي: أنا في شمال الشمال

أعيش.. ككأس بلا مدمنِ

ترد الذباب انتظارًا.. وتحسو

جمود موائدها الخوّنِ

غريب الخطايا.. بقايا الحكايا

من الليل لليل تَستلّني

أرشّ ابتسامي على كل وجهٍ

توسد في دُهنه الليِّنِ

ويجرحني الضوء في كل ليلٍ

مرير الخطى.. صامت، محزنِ

سريت به ـ كالشعاع الضئيل ـ

إلى حيث لا عابرٌ ينثني

هي إسكندرية بعد المساء

شتائية القلب والمحضن

شوارعها خاويات المدى

سوى: حارس بيَ لا يعتني

ودورة كلبين كي ينسلا

ورائحة الشبق المزمنِ

ملاكي.. ملاكي.. تَساءَل عنكِ

اغتراب التفرد في مسكني

سفحت لك اللحن عبر المدى

طريقًا إلى المبتدا ردَّني

وعيناك: فيروزتان تضيئان

في خاتم الله.. كالأعينِ

تمدّان لي في المغيب الجناح

مدىً.. خلف خلف المدى الممعنِ

سألتهما في صلاة الغروب

عن الحب.. والموت.. والممكن

ولم تذكرا لي سوى خلجةٍ

من الهدب قلت لها: هيمني!

هواي له الشمس تنهيدة

إلى اليوم بالموت لم تؤمنِ

وكانت لنا خلوة.. إنْ غدا

لها الخوف أصبح في مأمنِ

مقاعدها ما تزال النجوم

تحج إلى صمتها المؤمن

حكينا لها.. وقرأنا بها

بصوت على الغيب مستأذن

دنوًّا دُنوًّا ففي جعبتي

حكايات حب سَنيٍّ.. سني

صقلت به الشمس حتى غدت

مرايا مساء لتزيّني

وصغتُ لك النجم عقدًا من

الماس شعّ على صدرك المغتنِي

أردتُك قبل وجود الوجود

وجودًا لتخليده لم أنِ

تغربت عنك.. لحيث الحياة

مناجم حلم بلا معدن

ودورة كلبين كي ينسلا

ورائحة الشبق المزمن

* * *

ملاكي: ترى ما يزال الجنوب

مشارق للسيف لم تعلَنِ

ضممت لصدري تصاويرنا

تصاوير تبكي على المقتني

سآتي إليك أجرّ المسير

خطى في تصلبها المذعنِ

سآتي إليك كسيف تحطم

في كف فارسه المثخنِ

سآتي إليك نحيلاً.. نحيلا

كخيط من الحزن لم يحزنِ

* * *

أنا قادم من شمال الشمال

لعينين - في موطني - موطني!

أوتوجراف

لن أكتب حرفًا فيه

فالكلمة ـ إن تكتب ـ لا تكتب

من أجل الترفيه

والأوتوجراف الصامت تنهدل الكلمات عليه..

تحييه

وتطرز كل مثانيه!

ماضيك

ـ وماضي الأوتوجراف ـ

بقايا شوق مشبوه

بصمات الذكرى فيك.. وفيه

وخطى العشاق المحمومةُ أدمت كل دواليه

لكني أطرد كل ذباب الماضي عن بابي

فدعيه

غيري قد يصبح سطرًا من ورق

يقلبه من يجهله أو من يدريه

غيري قد ينبش تابوتًا براق اللون

تعفن خافيه

لكني أطرد كل ذباب الذكرى

عن غدي المشدوه

عن ثوبي.. وطعامي.. وفراشي

عن خطوة تيهي

... ...

يا أصغر من كلماتي

لن أكتب فيه

فخطى العشاق المحمومةُ أدمت كل دواليه!

شبيهتها

انتظري!

ما اسمك؟

يا ذات العيون الخضر والشعر الثّري

أشبهتِ في تصوري

(بوجهك المدوَّرِ)

حبيبةً أذكرها.. أكثر من تذكري

يا صورة لها على المرآة.. لم تنكسرِ

حبيبتي - مثلك -

لم تشبه جميع البشرِ

عيونها حدائق حافلة بالصورِ

أبصرتُها اليوم بعينيك

اللتين صبتا في عُمُري..

طفولة.. منذ اتزان الخطو لم تنحسرِ

* * *

يا ظل صيف أخضرِ

تصوري

كم أشهر وأشهرِ

مرت ولسنا نلتقي

مرت.. ولم نخضوضرِ

الماس في مناجمي

مشوَّه التبلور

والذكريات في دمي

عاصفة التحرر

كرقصة نارية من فتيات الغجرِ

... ...

لكنني حين رأيت الآن صورة لها

في مهجري

أيقنت أن ماسنا ما زال

حيّ الجوهر

وأننا سنلتقي..

رغم رياح القدر

وأنني في فمك المستضحك المستبشر

أغنية للقمر

أغنية ترقص فيها القرويات

في ليالي السمر

* * *

يا ظل صيف أخضر

تصوري

كم أشهر وأشهر

مغتربًا عن العيون الخضر والشعر الثري

العينان الخضراوان

العينان الخضراوان

مروحتان

في أروقة الصيف الحران

أغنيتان مسافرتان

أبحرتا من نايات الرعيان

بعبير حنان

بعزاء من آلهة النور إلى مدن الأحزان

* * *

سنتان

وأنا أبني زورق حب

يمتد عليه من الشوق شراعان

كي أبحر في العينين الصافيتين

إلى جزر المرجان

ما أحلى أن يضطرب الموج فينسدل الجفنان

وأنا أبحث عن مجداف

عن إيمان!

* * *

في صمت «الكاتدرائيات» الوسنان

صور «للعذراء» المسبلة الأجفان

يا من أرضعت الحب صلاة الغفران

وتمطى في عينيك المسبلتين

شبابُ الحرمان

رُدِّي جفنيك

لأبصر في عينيك الألوان

أهما خضراوان

كعيون حبيبي؟

كعيون يبحر فيها البحر بلا شطآن

يسأل عن حبّ

عن ذكرى

عن نسيان!

قلبي حرّان.. حرّان

والعينان الخضراوان

مروحتان

Petit Terianor
(الملهى الصغير)

لم يعد يذكرنا حتى المكان!

كيف هُنّا عنده؟

والأمس هان؟

قد دخلنا..

لم تُشر مائدةٌ نحونا!

لم يستضفنا المقعدان!!

الجليسان غريبان

فما بيننا إلا ظلال الشمعدان!

انظري

قهوتنا باردة

ويدانا ـ حولها ـ ترتعشان

وجهك الغارق في أصباغه

وجهي الغارق في سحب الدخان

رسما

(ما ابتسما!)

في لوحة خانت الرسامَ فيها..

لمستان!!

تُسدل الأستار في المسرح

فلنضيء الأنوارَ

إن الوقت حان

أمن الحكمة أن نبقى؟

سُدىً!!

قد خسرنا فرسينا في الرهان!

قد خسرنا فرسينا في الرهان

مالَنا شَوْط مع الأحلامِ

ثان!!

* * *

نحن كنا ها هنا يومًا

وكانْ

وهج النور علينا مهرجان

يوم أن كنا صغارًا

نمتطي صهوة الموجِ

إلى شط الأمان

كنتُ طفلا لا يعي معنى الهوى

وأحاسيسك مرخاة العنان

قطعة مغمضة العينين

في دمك البكر لهيب الفورَان

عامنا السادس عشر:

رغبة في الشرايينِ

وأعواد لدان

ها هنا كلَّ صباح نلتقي

بيننا مائدة

تندى.. حنان

قدمان تحتها تعتنقان

ويدانا فوقها تشتبكان

إن تكلمتِ

ترنَّمت بما همسته الشفتان الحلوتان

وإذا ما قلتُ:

أصغت طلعةٌ حلوةٌ

وابتسمت غمازتان!

أكتب الشعر لنجواك

(وإن كان شعرًا ببغائيّ البيان)

كان جمهوري عيناك!

إذا قلته: صفقتا تبتسمان

ولكم ينصحنا الأهل

فلا نصحهم عزّ

ولا الموعد هان

لم نكن نخشى إذا ما نلتقي

غير ألَّا نلتقي في كل آن

ليس ينهانيَ تأنيب أبي

ليس تنهاك عصًا من خيزران!!

الجنون البكر ولَّى

وانتهت سنة من عمرنا

أو.. سنتان

وكما يهدأ عنف النهرِ

إن قارَبَ البحرَ

وقارًا.. واتزان

هدأ العاصف في أعماقنا

حين أفرغنا من الخمر الدِّنان

قد بلغنا قمة القمةِ

هل بعدها إلا.. هبوط العنفوان

افترقنا..

(دون أن نغضب)

لا يُغضب الحكمةَ صوتُ الهذيان

* * *

ما الذي جاءبنا الآن؟

سوى لحظة الجبن من العمر الجبان

لحظة الطفل الذي في دمنا

لم يزل يحبو..

ويكبو..

فيُعان!

لحظة فيها تناهيد الصبا

والصبا عهد إذا عاهد: خان

أمن الحكمة أن نبقى؟

سدًى

قد خسرنا فرسينا في الرهان

* * *

قبلنا يا أخت في هذا المكان

كم تناجى.. وتناغى عاشقان

ذهَبَا

ثم ذهبنا

وغدًا..

يتساقى الحبَّ فيه آخران!

فلندعْهُ لهما

ساقيةً

دار فيها الماءُ

ما دار الزمان!!

البكاء بين يدي زرقاء اليمامة



ديباجة

آه.. ما أقسى الجدار

عندما ينهض في وجه الشروق

ربما ننفق كل العمر.. كي ننقب ثغرهْ

ليمر النور للأجيال.. مره!

...   .

ربما لو لم يكن هذا الجدار

ما عرفنا قيمة الضوءِ الطليق!!

بُكائيّة ليلية

إلى «مازن جودت أبو غزالة»
عرفته في سنوات التساؤل.
رحل مع «العاصفة».

للوهلة الأولى
قرأتُ في عينيه يومَه الذي يموتُ فيه
رأيتُه في صحراء «النقب» مقتولا
منكفئًا.. يغرز فيها شفتيه..
وهي لا تردُّ قبُلةً.. لفيه!
نتوه في القاهرة العجوز.. ننسى الزمنا
نفلت من ضجيج سياراتها.. وأغنيات المتسولين
تُظلّنا محطةُ المترو مع المساء.. متعبين.
وكان يبكي وطنا.. وكنتُ أبكي وطنا

نبكي إلى أن تنضُب الأشعار

نسألها: أين خطوط النار؟

وهل تُرى الرصاصة الأولى هناك.. أم هنا؟

* * *

والآن.. ها أنا

أظل طول الليل لا يذوق جفني وَسنَا

أنظر في ساعتيَ الملقاة في جواري

حتى تجيء.. عابرًا من نقط التفتيش والحصار

تتسع الدائرة الحمراء في قميصك الأبيض.. تبكي شجنَا

من بعد أن تكسَّرت في «النقب» رايتُكْ!

تسألني: «أين رصاصتُكْ؟»

«أين رصاصتُكْ؟»

ثم تغيبُ: طائرًا.. جريحا

تضرب أفقك الفسيحا

تسقط في ظلال الضفَّة الأخرى.. ترجو كفنا!

* * *

وحين يأتي الصبحُ ـ في المذياع ـ بالبشائر

أزيح عن نافذتي الستائر..

فلا أراك... !

أسقط في عاري. بلا حراك

أسأل إن كانت هنا الرصاصةُ الأولى؟

أم إنها هناك؟!

١٩٦٨

كلمات سبارتاكوس الأخيرة

(مزج أول):

المجد للشيطان.. معبود الرياحْ

من قال «لا» في وجهِ من قالوا «نَعَمْ»

من عَلَّم الإنسانَ تمزيقَ العدمْ

من قال «لا».. فلم يَمُتْ..

وظل روُحًا أبديّة الألمْ!

(مزج ثان):

مُعَلَّقٌ أنا على مشانق الصباحْ

وجبهتي ـ بالموت ـ مَحَنِيَّهْ!

لأنني لم أحنها.. حَيَّهْ!

...   ...

يا إخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقينْ
منحدرين في نهاية المساءْ
في شارع الإسكندر الأكبرْ
لا تخجلوا.. ولترفعوا عيونكم إليّ
لأنكم معلقون جانبي.. على مشانق القيصرْ
فلترفعوا عيونكم إليّ
لربما.. إذا التقت عيونُكم بالموتِ في عَيْنَيّ:
يبتسم الفناءُ داخلي.. لأنكم رفعتم رأسكم... مرَّه!
«سيزيفُ» لم تَعُد على أكتافه الصخرهْ
يحملها الذين يولدون في مخادع الرقيقْ
والبحر.. كالصحراءِ.. لا يروي العطشْ
لأن من يقولُ «لا» لا يرتوي إلا من الدموعْ!
.. فلترفعوا عيونكم للثائر المشنوقْ
فسوف تنتهون مثله.. غدا
وقبِّلوا زوجاتكم.. هنا.. على قارعة الطريقْ
فسوف تنتهون ها هنا.. غدا.
فالانحناءُ مُرّ..

والعنكبوتُ فوق أعناق الرجال ينسج الردى

فقبِّلوا زوجاتكم.. إني تركتُ زوجتي بلا وداع

وإن رأيتم طفليَ الذي تركته على ذراعها بلا ذراع

فعلِّموه الانحناءْ!

علموه الانحناءْ!!

الله.. لم يغفر خطيئةَ الشيطانِ حين قال لا!

والودعاءُ الطيبونْ..

هم الذين يَرثون الأرضَ في نهاية المدى

لأنهم... لا يشنقون!

فعلّموه الانحناء

وليس ثَمَّ من مَفَرْ

لا تحلُموا بعالم سعيد

فخلف كل قيصر يموتُ: قيصرُ جديد!

وخلف كل ثائرٍ يموتُ: أحزانُ بلا جدوى..

ودمعةٌ سُدى!

(مزج ثالث):

يا قيصر العظيمَ: قد أخطأتُ.. إنّي أعترف

دعني ـ على مشنقتي ـ ألْثُمْ يَدَكْ

ها أنذا أقبِّل الحبل الذي في عُنُقي يلتفّ

فهو يداك.. وهو مجدك الذي يجبرنا أن نعبدكْ

دعني أكفِّر عن خطيئتي

أمنحك ـ بعد ميتتي ـ جمجمتي

تصوغُ منها لكَ كأسًا لشرابكَ القوي

.. فإن فعلتَ ما أريدْ

إن يسألوك مرةً عن دميَ الشهيدْ

وهل تُرى منحتني «الوجود» كي تسلبني «الوجودْ»؟

فقل لهم: قد ماتَ.. غيرَ حاقدٍ عليّ

وهذه الكأسُ ـ التي كانت عظامُها جمجمَتَهْ ـ

وثيقة الغفران لي

يا قاتلي: إني صفحتُ عنكْ..

في اللحظة التي استرحتَ بعدها منِّي

استرحتُ مِنْك!

لكني.. أوصيكَ إن تشأ شنق الجميعْ

أن ترحم الشجرْ!

لا تقطع الجذوع كي تنصبها مشانقا

لا تقطع الجذوع

فربما يأتي الربيع

«والعامُ عامُ جوع»

فلن تشم في الفروع.. نكهةَ الثمر!

وربما يمرُّ في بلادنا الصيفُ الخَطِرْ

فتقطع الصحراء. باحثًا عن الظلال

فلا ترى سوى الهجير والرمال.. والهجير والرمال

والظمأ الناريّ في الضلوع!

يا سيد الشواهد البيضاء في الدجى..

يا قيصر الصقيعْ!

(مزج رابع):

يا إخوتي الذين يعبرون في الميدان في انحناءْ

منحدرين في نهاية المساءْ

لا تحلموا بعالم سعيدْ..

فخلف كل قيصر يموت: قيصرٌ جديد
وإن رأيتم في الطريق (هانيبال»
فأخبروه أنني انتظرته مدىً على أبواب «روما» المجهدهْ
وانتَظرَتْ شيوخ روما ـ تحت قوس النصر ـ قاهر الأبطال
ونسوةُ الرومان بين الزينة المعربده
ظللنَ ينتظرن مقدمَ الجنودْ
ذوي الرءوس الأطلسية المجعده
لكن «هانيبالَ» ما جاءت جنوده المجنده
فأخبروه أنني انتظرتُه.. انتظرتُه..
لكنه لم يأت!
وأنني انتظرتُهُ.. حتى انتهيتُ في حبال الموت
وفي المدى: «قرطاجةُ» بالنار تحترقْ
«قرطاجُة» كانت ضميرَ الشمسِ: قد تعلَّمتْ معنى
الركوع
والعنكبوتُ فوق أعناق الرجالْ
والكلماتُ تختنقْ

يا إخوتي: قرطاجةُ العذراءُ تحترقْ

فقبِّلوا زوجاتكم..

إني تركت زوجتي بلا وداع

وإن رأيتم طفليَ الذي تركتُه على ذراعها.. بلا ذراع

فعلِّموه الانحناءْ..

فعلِّموه الانحناءْ..

علِّموه الانحناءْ..

أبريل ١٩٦٢

الأرض... والجرح الذي لا ينفتح

ـ الأرض ما زالت بأذنيها دمٌ من قرطها المنزوعِ..

قهقهةُ اللصوص تسوق هَوْدجها.. وتتركُها بلا زادٍ..

تشدُّ أصابعَ العطش المميتِ على الرمالِ..

تضيع صرختُها بحمحمة الخيولْ

ـ الأرضُ ملقاةُ على الصحراء.. ظامئة..

وتلقي الدلو مراتٍ.. وتخرجه بلا ماءٍ!

وتزحف في لهيب القيظ..

تسأل عن عذوبة نهرنا

والنهر سمَّمَهُ المغولْ

ـ وعيونُها تخبو من الإعياءِ.. تَسْتسقي جذورَ الشوكِ..

تنتظرُ المصيرَ المرَّ.. يطحنها الذبولْ

* * *

من أنت يا حارسْ؟

إني أنا الحجّاج..

عصَّبَني بالتاجِ..

تشرينُها القارسْ!

* * *

ـ الأرض تُطوى في بساط «النفط»..

تحملها السفائنُ نحو «قيصرَ» كي تكون إذا تفتَّحت اللفائفُ:

رقصةً.. وهديةً للنار في أرض الخطاه

ـ دينارها القصدير مصهورٌ على وجناتها

ـ زنَّارها المحلول يسأل عن زناة الترك..

والسيَّاف يجلدها! وماذا؟ بعد أن فقدت بكارتها..

وصارت حاملاً في عامها الألفي من ألفين من عشاقها!

ـ لا النيل يغسل عارها القاسي... ولا ماء الفرات!

حتى لزوجة نهرها الدموي..

والأمويّ يُقعي في طريق النبع

«.. دون الماء رأسك يا حسينُ..»

وبعدها يتملكون.. يضاجعون أراملَ الشهداء..

لا يتورعون.. يؤذنون الفَجْرَ.. لم يتطهروا من رجسهم..

فالحق مات

* * *

هل ثبَّت الثقفيّ

قناعَهُ المهزوزْ؟

فقد مضى تموزْ..

بوجهه العربيّ!

* * *

أحببت فيك المجد والشعراءَ..

لكنَّ الذي سرواله من عنكبوت الوهم:

يمشي في مدائنك المليئةِ بالذبابْ

يسقي القلوب عصارةَ الخَدَر المنمَّقِ..

والطواويس التي نزعت تقاويم الحوائطِ..

أوقفت ساعاتها..

وتجشأت بموائد السفراء..

تنتظر النياشين التي يسخو بها السلطانُ..

فوق أكابر الأغوات منهم!

يا سماء

أكلَّ عام: نجمةٌ عربيةٌ تهوي..

وتدخل نجمةٌ برج البرامك؟!

ما تزال مواعظُ الخصيان باسم الجالسين على الحرابْ؟

وأراكِ.. و«ابن سلول» بين المؤمنين بوجهه القُزَحيِّ..

يسري بالوقيعة فيكِ..

والأنصارُ واجمةٌ

وكل قريشَ واجمةُ

فمن يهديه للرأي الصوابْ؟!

* * *

ملثَّما يخطو..

قد شوهته النارْ!

هل يُصلح العطارْ

ما أفسد النفطُ؟

* * *

لم يبق من شيء يقال

يا أرضُ

هل يلدُ الرجالْ؟

مايو ١٩٦٦

البكاء بين يدي زرقاء اليمامة

أيتها العرّافة المقدَّسهْ..

جئتُ إليك.. مثخنًا بالطعناتِ والدماءْ

أزحف في معاطف القتلى.. وفوق الجثث المكدّسه

منكسر السيف.. مغبَّر الجبين والأعضاءْ.

أسأل يا زرقاءْ..

عن فمكِ الياقوتِ.. عن نبوءة العذراء

عن ساعدي المقطوع.. وهو ما يزال ممسكًا

بالراية المنكَّسه

عن صور الأطفال في الخوذات.. ملقاةً على الصحراء

عن جاريَ الذي يَهُمُّ بارتشاف الماء

فيثقب الرصاصُ رأسه.. في لحظة الملامسه!
عن الفم المحشوِّ بالرمال والدماء!!
أسأل يا زرقاء..
عن وقفتي العزلاء بين السيف.. والجدارْ!
عن صرخة المرأة بين السَّبي.. والفرارْ؟
كيف حملتُ العار...
ثم مشيتُ؟ دون أن أقتل نفسي؟! دون أن أنهار؟!
ودون أن يسقط لحمي.. من غبار التربة المدنَّسه؟!
تكلَّمي أيتها النبية المقدسه
تكلمي... باللهِ... باللعنةِ... بالشيطانْ
لا تغمضي عينيك فالجرذان..
تَلْعَق من دمي حساءهَا.. ولا أردُّها!
تكلمي.. لشدَّ ما أنا مُهان
لا الليل يُخفي عورتي.. ولا الجدران!
ولا اختبائي في الصحيفة التي أشدُّها..
ولا احتمائي في سحائب الدخان!

.. تقفز حولي طفلةٌ واسعة العينين... عذبةُ المشاكسه

(ـ كان يَقُصُّ عنك يا صغيرتي.. ونحن في الخنادقْ

فنفتح الأزرار في ستراتنا.. ونسند البنادقْ

وحين مات عَطَشًا في الصحراء المشْمِسه..

رطَّب باسمك الشفاه اليابسة..

وارتخت العينان!)

فأين أخفي وجهيَ المتَّهمَ المدان؟

والضحكةُ الطروب: ضحكته..

والوجهُ. والغمازتانْ؟!

* * *

أيتها النبية المقدسه..

لا تسكتي.. فقد سكَتُّ سَنَةً فَسنَةً

لكي أنال فضلة الأمانْ

قيل لَي «اخرسْ..»

فخرستُ.. وعميت.. وائتممتُ بالخصيان!

ظللتُ في عبيد (عبس) أحرس القطعان

أجتزُّ صوفَها..

أردُّ نوقها..

أنام في حظائر النسيان

طعاميَ: الكسرةُ.. والماءُ.. وبعض التمرات اليابسه

وها أنا في ساعة الطعانْ

ساعةَ أن تخاذل الكماةُ.. والرماةُ.. والفرسانْ

دُعيت للميدان!

أنا الذي ما ذقتُ لحمَ الضأن

أنا الذي لا حولَ لي أو شأن..

أنا الذي أُقصيِت عن مجالس الفتيان..

أدعى إلى الموتِ.. ولم أُدْعَ إلى المجالسه!!

تكلمي أيتها النبية المقدسه

تكلَّمي.. تكلمي..

فها أنا على التراب سائلٌ دمي

وهو ظميُ.. يطلب المزيدا

أسائل الصمتَ الذي يخنقني:

«ما للجمالِ مشيُها وئيدا...؟!

أجندلاً يحملن أم حديدا...؟!»

فمن تُرى يصدُقني؟

أسائل الركَّع والسجودا

أسائل القيودا:

«ما للجمال مشيُها وئيدًا..؟!»

«ما للجمال مشيُها وئيدًا..؟!»

* * *

أيتها العرَّافة المقدسه...

ماذا تفيد الكلمات البائسه؟

قلتِ لهم ما قلتِ عن قوافل الغبارْ..

فاتهموا عينيكِ، يا زرقاء، بالبوارْ!

قلتِ لهم ما قلتِ عن مسيرة الأشجار..

فاستضحكوا من وهمك الثرثار!

وحين فُوجئوا بحدِّ السيف: قايضوا بنا..

والتمسوا النجاةَ والفرار!

ونحن جرحى القلبِ..

جرحى الروحِ والفم

لم يبق إلا الموتُ..

والحطامُ..

والدمارْ..

وصبيةٌ مشرّدون يعْبُرون آخرَ الأنهارْ

ونسوةٌ يُسقن في سلاسل الأسرِ..

وفي ثياب العارْ

مطأطئات الرأس

لا يملكن إلا الصرخات التاعسه!

... ...

ها أنت يازرقاء

وحيدةٌ.. عمياءْ!

وما تزال أغنياتُ الحبِّ... والأضواءْ

والعرباتُ الفارهاتُ.. والأزياءْ!

فأين أخفي وجهيَ المُشَوَّها

كي لا أعكِّر الصفاء.. الأبلهَ.. المموَّها

في أعين الرجال والنساءْ؟!

وأنت يا زرقاء..

وحيدة.. عمياء!

وحيدة.. عمياء!

١٣_٦_٦٧

أيلول

(صوت):	(جوقة خلفية):
	- ١ -
أيلول الباكي في هذا العام	ها نحن يا أيلول
يخلع عنه في السجن قلنسوة الإعدام	لم ندرك الطعنه
تسقط من سُترته الزرقاء... الأرقام!	فحلت اللعنه
يمشي في الأسواق: يبشر بنبوءته الدمويه	في جيلنا المخبول!
ليلة أن وقف على درجات القصر الحجريه	... ...
ليقول لنا: إن سليمان الجالس منكفئا	
فوق عصاه	قد حلت اللعنه
قد مات! ولكنا نحسبه يغفو حين نراه!!	في جيلنا المخبول

أوّاه. فنحن في أيلول

قال.. فكممناه.. فقأنا عينيه الذاهلتين لم ندرك الطعنه!

وسرقنا من قدميه الخُفّين الذهبيين ... ...

وحشرناه في أروقة الأشباح المزدحمه

ونسينا أيلول الكلمه فحلت اللعنه!

* * *

ـ ٢ ـ

(صوت): (جوقة خلفية):

في سوريه الأمراء الصم

كانت تتهاوى رايات أميه ماتوا على المداخل

فرفعناها علمًا علمًا.. ووقعنا في أسر الروم لم يبق إلا «الداخل»

لكنا في طابور الأسرى المهزوم يعبر نهر الدم!

كنا ننتظر زياد بن أبيه ... ...

ليعود.. فينقذنا مما نتسربل فيه لم يبق إلا «الداخل»

كنا نبصر وردتنا الصابحة الحمراء يعبر نهر الدم!

تنمو في شرفة بيت في حلب الشهباء

وظللنا ننتظر... تطول الأظفار...

ويبيضّ السالف

.. ذات صباح عاصف

كنا نشرب حين أتتنا الأنباء

.. فتعكر لون الماء!

والأمراء الصم

ماتوا على المداخل

... ...

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا «الداخل»

* * *

-٣-

(صوت):

لو زرت دمشق

لو وقفت على أبواب «المزه» ولتابعت

الطرق

ودلفت إلى غرفات التعذيب

(جوقة خلفية):

في ضجة المذياع

لو وقفت على أبواب

«المزه» ولتابعت

يخف صوت الحق!

فمن يقول الصدق

ورأيتك تضحك يا أيلول وأنـت على

الأخشاب تدق — كي نرهف الأسماع؟

فلقد أبصرتك في آخر ليله — ... ...

مصلوبًا تتأرجح في باب زويله! — من ذا يقول الصدق

ولمست أصابع قدميك هنيهات ما بين

الدهشة والتكذيب — كي نرهف الأسماع؟

وحشوت جراحك بتراب الأرض المفقوده — فضجة المذياع

ولففتك في الرايات المنكوده — تخفت صوت الحق!

وحملتك حتى واريتك في مقبرة

الصمت.. وراء الشرق — ... ...

لكني أسمع صوتك في الليل، تغني يا أيلول — يخفت صوت الحق

تجعل من تجويفات عظام الموتى: قصبات

الأرغول — فمن يقول الصدق

فيجيء غناؤك. ممزوجًا بنحيب! — ... ...

(الجوقة) — **(صوت)**

هذا العام.. — ننتظر الريح

أعطينا جرحانا آخر ما يملكه الصيف من

الأنسام   من كل ضريح

وبقينا في الصهد المختنق المبحوح   ... ...

لكنا من كل ضريح   من كل ضريح

ننتظر الريح!   ننتظر الريح

... ...

سبتمبر ١٩٦٧

السويس

- ١ -

عرفتُ هذه المدينة الدخانيهْ

مقهى فمقهى.. شارعًا فشارعا

رأيت فيها (اليشمكَ) الأسْود والبراقعا

وزرتُ أوكار البغاء واللصوصيه!

على مقاعد المحطة الحديديه..

نِمْتُ على حقائبي في الليلة الأولى

(حين وجدت الفندق الليليّ مأهولاً؟)

وانقشع الضباب في الفجر.. فكشَّف البيوتَ والمصانعا

والسفن التي تسير في القناة.. كالإوزّ..

والصائدين العائدين في الزوارق البخاريهْ!

* * *

(رأيتُ عمال «السماد» يهبطون من قطار «المحجر» العتيقْ
يعتصبون بالمناديل الترابيه
يدندنون بالمواويل الحزينة الجنوبيَّه
ويصبح الشارع.. دربًا.. فزقاقًا.. فمضيقْ
فيدخلون في كهوف الشجن العميقْ
وفي بحار الوهم: يصطادون أسماك سليمان الخرافيهْ!)

* * *

عرفتُ هذه المدينة؟
سكرت في حاناتها
جُرحت في مشاحناتها
صاحبت موسيقارها العجوز في (تواشيح) الغناءْ
رهنت فيها خاتمي.. لقاء وجبة العشاء
وابتعتُ من «هيلانةَ» السجائر المهرّبه
وفي «الكبانُون» سبحتُ

واشتهيت أن أموت عند قوس البحر والسماء!

وسرتُ فوق الشُّعَب الصخريَّة المدببه

أَلْقُطُ منها الصَّدَفَ الأزرق والقواقعا

وفي سكون الليل.. في طريق «بور توفيق»

بكيت حاجتي إلى صديق

وفي أثير الشوق: كدت أن أصير.. ذبذبه!

ـ ٢ ـ

والآن.. وهي في ثياب الموت والفداءْ

تحاصرها النيران.. وهي لا تلينْ

أذكر مجلسي اللاهي... على مقاهي «الأربعين»

بين رجالها الذين..

يقتسمون خبزها الدامي. وصمتها الحزين

ويفتح الرصاصُ ـ في صدورهم ـ طريقنا إلى البقاء

ويسقط الأطفال في حاراتها

فتقبض الأيدي على خيوط «طائراتها»

وترتخي ـ هامدة ـ في بركة الدماء

وتأكل الحرائق..

بيوتها البيضاء والحدائقْ

ونحن ها هنا.. نَعَضُّ في لجام الانتظارْ!

نصغي إلى أنبائها.. ونحن نحشو فمنا ببيضة الإفطار!

فتسقط الأيدي عن الأطباق والملاعقْ

أسقُطُ من طوابق القاهرة الشواهق

أبصر في الشارع أوُجَه المهاجرين

أعانق الحنين في عيونهم... والذكرياتْ

أعانق المحنة والثباتْ

... ...

هل تأكل الحرائق

بيوتها البيضاء والحدائق

بينما تظل هذه «القاهرة» الكبيره

آمنةً.. قريره؟!

تضيء فيها الواجهاتُ في الحوانيت.. وترقص النساء..

على عظام الشهداء؟!

يوميات كهل صغير السنّ

ـ ١ ـ

أعرف أن العالم في قلبي.. مات!

لكني حين يكفُّ المذياعُ.. وتنغلق الحجرات:

أنبش قلبي.. أُخْرِج هذا الجسد الشمعيّ

وأسجِّيه فوق سرير الآلام

أفتح فمه.. أسقيه نبيذَ الرغبه

فلعل شعاعًا ينبض في الأطراف الباردة الصلبه

لكن.. تتفتت بشرتُه في كفِّي

لا يتبقى منه.. سوى: جمجمةٍ.. وعظامْ

- ٢ -

تنزلقين من شعاع لشعاع

وأنت تمشين ـ تُطالعين ـ في تشابك الأغصان في الحدائق

حالمةً.. بالصيف في غُرفات شهر العسل القصير في الفنادق

ونزهة في النهر..

واتكاءةٍ على شراع!

... ...

.. وفي المساء، في ضجيج الرقص والتعانق

تنزلقين من ذراعٍ لذراع!

تنتقلين في العيون.. في الدخان العصبيِّ.. في سخونة الإيقاع

وفجأةً.. ينسكب الشرابُ في تحطم الدوارق

يبل ثوبك الفَرَاشيَّ.. من الأكمام حتى الخاصره!

وحين يَفْغر المغنِّي فمه مرتبكا

تنفجرين ضحكا!

تشتعلين ضحكا!

وتخلعين الثوبَ في تصاعدات النغم الصارخ.. والمطارق
وتخلعين خُفَّك المشتبكا
ثمَ..
تواصلين رقصك المجنون.. فوق الشَّظَيَات المتناثره!!

-٣-

عينا القطةِ تنكمشان..
فيدق الجرسُ الخامسةَ صباحا!
أتحسس ذقني النابتةَ.. الطافحةَ بُثُورًا وجراحا
(.. أسمع خطو الجارة فوق السقف
وهي تعد لساكن غرفتها
الحمَّام اليوميّ..!)
دفء الأغطية.. خريرُ الصنبور
خشخشةُ المذياع.. عذوبة جسدي المبهور
(.. والخطو المتردد فوقي ليس يكف..!)
لكني في دقة بائعة الألبان:

تتوقف في فكّي.. فرشاةُ الأسنان!

ـ ٤ ـ

في الشارع

أتلاقى ـ في ضوء الصبح ـ بظلِّي الفارع

نتصافح.. بالأقدام!

ـ ٥ ـ

حبيبتي.. في الغرفة المجاوره

أسمع وقع خطوها.. في روحة وجيئه

أسمع قهقهاتها الخافتة البريئه

أسمع تمتماتها المحاذره

حتى حفيف ثوبها.. وهي تدور في مكانها.. تهم بالمغادره

(.. يومان.. وهي إن دخَلتْ:

تشاغلَت بقطعة التطريز

بالنظر العابر من شباكها إلى الإفريز..

بالصمت إن سَألْتْ!)

.. وعندما مرت عليَّ.. بقعةً مضيئة..

ألقت وراء ظهرها.. تحية انصرافها الفاتره

فاحتقنت أذناي.. واختبأتُ في أعمدة الوظائف الشاغره

حتى تلاشى خطوها.. في آخر الدهليز!

-٦-

أطرق باب صديقي في منتصف الليل

(تثب القطةُ من داخل صندوق الفضلات)

كلُّ الأبواب.. العلويَّة والسفليَّة، تُفتح إلا.. بابه

وأنا أطرق.. أطرق

حتى تصبح قبضتيَ المحمومةُ خفاشًا يتعلق في بندولْ»!

... ...

يتدفق من قبضتي المجروحة خيطُ الدم

يترقرق.. عذبًا.. منسابا.. يتساند في المنحنيات

تغتسل الرئتان المتعَبَتان من اللون الدافئ..

ينفثئ السمّ..

يتلاشى البابُ المغلقُ.. والأعينُ.. والأصوات

.. وأموات على الدرجات!!

-٧-

تدق فوق الآلة الكاتبة القديمه

وعندما ترفع رأسها الجميل في افتراق الصفحتين

تراه في مكانه المختار.. في نهاية الغرفه

يرشف من فنجانه رشفه

يريح عينيه على المنحدر الثلجي، في انزلاق الناهدين!

(.. عينيه هاتين اللتين

تغسل آثارهما عن جسمها ـ قبيل أن تنام ـ مرتين!)

وعندما ترشقه بنظرة كظيمه

فيسترد لحظةً عينيه: يبتسم في نعومه

وهي تشدُ ثوبها القصير فوق الركبتين!

... ...

.. في آخر الأسبوع
كان يعُدُّ ـ ضاحكا ـ أسنانها في كتفيه
فقرصت أذنيه..
وهي تدس نفسها بين ذراعيه.. وتشكو الجوع

ـ ٨ ـ

حين تكونين معي أنتِ
أصبح وحدي..
في بيتي!
...   .

ـ ٩ ـ

جاءت إليّ وهي تشكو الغثيان والدوار
(.. أنفقتُ راتبي على أقراصِ منعِ الحَمْلْ!)
ترفع نحوي وجهها المبتلّ..
تسألني عن حلّ!
...   .

هنأني الطبيبُ! حينما اصطحبتُها إليه في نهاية النهارِ
رجوته أن يُنهي الأمرَ... فثار (.. واستدارْ
يتلو قوانين العقوبات عليّ كي أكفَّ القول!)
هامش:
أفهمته أن القوانين تُسَنُّ دائمًا لكي تخرق
أن الضمير الوطنيَّ فيه يُملي أن يقلَّ النسل
أن الأثاث صار غاليًا لأن الجدبَ أهلك الأشجار
لكنه.. كان يخاف الله.. والشرطةَ.. والتجار!

ـ ١٠ ـ

في ليلة الزفاف.. في التوهج المرهق
ظلت تُدير في الوجوه وجهها المنتصر المشرق
وحين صرنا وحدنا ـ في الصمت الكثيف الكلمات
داعَبَت الخاتم في إصبعها الأيسر.. ثم انكمشت خجلى!
(.. كانوا ـ وراء الباب ـ يكنسون النور والظِّلا
وتخلع الراقصةُ الشقراءُ عريهَا.. وتحسب الهبَات!)
قلت لها «ما أجمل الحفلا»

فأطرقَت باسمةَ الغمازتين والسمات
وعندما لمستُها: تثلّجت أطرافُها الوجلى!
وانفلتت عجلى..!
كأنها لم تذق الحب.. ولم يثر بصدرها التنهدات!!

ـ ١١ ـ

مذ علَّقنا ـ فوق الحائط ـ أوسمة اللهفه
وهي تطيل الوقفة في الشرفه!
واليوم!
قالت إن حبالي الصوتيِّة تقلقها عند النوم!
.. وانفردت بالغرفه!!

ـ ١٢ ـ

في جلسة الإفطار.. في الهنيهة الطفليَّة المبكِّره
أعصب عيني بالصحيفة التي يدسُّها البائع تحت الباب
وزوجتي تبدأ ثرثرتَها اليومية المثابره
وهي تصبُّ شايَها الفاتر في الأكواب!

(.. تقص عن جارتها التي ارتدت..

وجارها الذي اشترى..

وعن شجارها مع الخادم والبوَّاب والقصَّاب..

.. ثم تشد من يديّ: صفحة الكُرَهْ)!

ـ ١٣ ـ

.. العالم في قلبي مات..

لكني حين يكف المذياع.. وتنغلق الحجرات

أخرجه من قلبي.. وأسجِّيه فوق سريري

أسقيه نبيذ الرغبه

فلعل الدفء يعود إلى الأطراف الباردة الصلبه

لكن.. تتفتت بشرتُه في كفي

لا يتبقى منه سوى.. جمجمةٍ.. وعظامْ!

...   . وأنام!!

١٩٦٧

إجازة فوق شاطئ البحر

أغسطسُ..

الإسكندريةُ

واليودُ ينشع في رئتين..

يسدُّ مَسَامَّهما الرَّبُو.. والأتربهْ!

* * *

طفولةُ «مايو» تشيخ..

وفي الصبح: نرفع راياتِنا البِيضَ للبحر.. مستسلمينَ.

لينْخَرَنَا الملحُ.. يمنح بشرتنا النمشَ البرصِيَّ..

ونفرشُ أبسطة الظُّهرِ.. نجلسُ فوق الرمالِ..

نُمرْوِحُ في حزننا الغامضِ الشبقيِّ.. لكي يتوهّجَ!

(حين هممنا بإمساكه: احترقت يدُنا!)..
نتلمسُ ثدي البكارة.. كيف تجفُّ النضارةُ فيه..
فيفرزُ سُمًّا.. ودُودًا يعيث بتفاحةٍ معطبْه؟!

...   .

وفي الليل. نخفضُ راياتنا..
نقضُ الهدنةَ الأبديَّةَ..
نجرؤ أن نتساءلَ «هل نحنُ موتى»؟!
وجولاتنا في الملاهي..
اهتزازاتُنا في الترام..
تلاصُقنا في ظلام المداخل..
ذَبْذبة النظرات أمام المعارض والعابرات الرشيقاتِ..
مركبةُ الخيل حين تسير الهُوَيْنَى بنا..
الضحكات.. النّكات
بقايا من الزّبدِ المرِّ.. والرغوة الذاهبه؟!!
«تُرى نحن موتى..»
وننشبُ أنيابنا في الطيور المهاجرة المتعبْه!!

* * *

صديقي الذي غاص في البحر.. ماتْ!
فحنَّطتُهُ..

(.. واحتفظتُ بأسنانهِ..

كلَّ يوم إذا طلع الصبحُ: آخذُ واحدةً..

أقذف الشمسَ ذات المحيَّا الجميل بها..

وأردِّدُ: «يا شمسُ.. أعطيكِ سنَّتهُ اللؤلؤيَّه..

ليس بها من غُبار.. سوى نكهةِ الجوعِ!!

رُدِّيه.. رُدِّيه.. يَرْوِ لنا الحكمة الصائبهْ»

ولكنها ابتسمت بسمةً شاحبةْ!)

... ...

وكانت على البحر رايةُ حزنٍ.. وغضبةُ ريح

ونحن ـ مع الصمت ـ نحمل جثمانه فوق أكتافنا..

ثم نهبط في طرقات المدينةِ..

نستوقف العابرين..

نسائلهم عن طريق المدافنِ.. والرحلةِ الخائبه!

ولكننا في النهاية..

عدنا إلى شاطئ البحرِ.. والراية الغاضبه!!

بدايتُنا البحرُ..

ـ حين قصدنا المقابرَ! ـ

كيف رجعنا إليهِ؟!

وكيف الطريقُ اشْتَبَهْ؟!

١٩٦٦

موت مغنية مغمورة

صوت (١)

أغلقي المذياعَ..

هذا زمن السكتةِ..

«سالومي» تغنِّي..

من تُرى يحمل رأس المعمدانْ؟!

* * *

في انكساراتِ الظلالْ..

تبدأ الأحزانُ في أعماقنا إيقاعها الهادئَ..

تصحو الرغبةُ المرتعشه

تتوالى قطرات الصمت من صنبورها الفضيٍّ..

كي ترسم في صفحة ماضينا.. الدوائرْ

صورةً لامرأةٍ تجلس في البهو ـ تحوكُ الصوفَ ـ

في مئزرها البيتيِّ.. لفّاءَ الضفائرْ

نقراتُ المطر العذبةُ في النافذةالبيضاء..

دفقُ الدفءِ من تمتمة القطةِ..

موسيقى السكونِ الموحشةْ

مركباتُ الغد تدنو في الخيالْ

تصهل الأفراسُ عند البابِ

ـ «أين القادمونَ؟!

ـ الليلُ.. والوحدةُ.. والشوقُ المحالْ!

* * *

تقاسيم

عقب استعراضها الفاشل.. لم تخلع رداء الرقصِ..

ظلت خلف أستار «الكواليس»..

تَرُدُّ السحبَ الزرقاءَ عن أعينها.. تبكي شبابًا..

كانت المتعةُ فيه: قطعةَ الجبن.. وكأسين من «الروم»

لكي تمرح في غرفةِ ريفي من الطلاب..

لا تملكُ يمناهُ سوى الكسرةِ والتبغ الرخيص..

الآن يمشي خلفه.. سربٌ من الأطفالِ..

عند النوم يسطون على منظاره الطبيِّ.. حتى لا يرى

* * *

وجهها صافٍ.. وعيناها غديران من الحزنِ..

ويدنوا الخادمُ الأسمرُ.. يلقي باقةَ الورد..

ويلقي دعوةً للسهرِ..

(..الآن ستمضي..

وغداً سوف يوافيها الطبيبُ ـ الموتُ والإجهاضُ ـ

هذا شهرُها الثالثُ. رغم الحذرِ الشائع!

حتى أنتِ يا أقراص مَنْعِ الحملِ؟!

ما من أحدٍ في هذه الدنيا جديرٌ بالأمانْ!)

منفرد

مَنْ يفترسُ الحَمَل الجائعْ

غيرُ الذئب الشبعانْ؟

ارتاح الربُّ الخالقُ في اليوم السابعْ

لكن.. لم يسترحِ الإنسانْ

صوت (٢)

وحدَها.. تسَّاقطُ الدمعةُ من عين الليالْ

بعد أن علَّقها الوهمُ طويلاً..

وحدها.. سرعان ما ترشفها الأرض..

وينساها الرجالْ

شربوا قهوتَها المُرَّةَ.. والمذياعُ ما زال يغنِّي!

والمصابيحُ تُضاءُ!

الموت في لوحات

ـ ١ ـ

مصفوفةٌ حقائبي على رفوف الذاكره

والسَّفرُ الطويلْ

يبدأ دون أن تسير القاطره!

رسائلي للشمسْ

تعود دون أن تمسّ!

رسائلي للأرض..

تُردّ دون أن تُفَضّ!

يميل ظلي في الغروب دون أميل!

وها أنا في مقعدي القانطْ

وريقةً.. وريقةً.. يسقط عمري من نتيجة الحائط

والوَرَقُ الساقط

يطفو على بحيرة الذكرى.. فتلتوي دوائرا

وتختفي.. دائرةً.. فدائره!

ـ ٢ ـ

شقيقتي «رجاء» ماتت وهي دون الثالثه

ماتت وما يزال في دولاب أمي السريّ

صندلُها الفضيّ!

صدارُها المشغول.. قرطُها.. غطاء رأسها الصوفيّ

أرنبها القطنيّ!

وعندما أدخل بهو بيتنا الصامت

فلا أراها تمسك الحائط.. علَّها تقف!

أنسى بأنها ماتت..

أقول: ربما نامت..

أدور في الغرف..

وعندما تسألني أمي بصوتها الخافت

أرى الأسى في وجهها الممتقع الباهت

وأستبين الكارثه!

-٣-

عرفتُها في عامها الخامس والعشرين

والزمنُ العنِّين..

ينشب في أحشائها أظفارَه الملويه

صلّت إلى العذراءِ

طوّفت بكل صيدليه

تقلبت بين الرجال الخشنين!

.. وما تزال تشتري اللفائف القطنيه!

.. وما تزال تشتري اللفائف القطنيه!

... ...

وحين ضاجَعت أباها ليلة الرعدِ

تفجَّرَتْ بالخصبِ والوعدِ

واختلجت في طينها بشارةُ التكوين

لكنها نادت أباها في الصباح..

فظل صامتا!

هزَّته.. كان ميتا!!

-٤-

من شرفتي كنت أراها في صباح العطلة الهادئ
تنشر في شرفتها على خيوط النور والغناء
ثياب طفليها.. ثياب زوجها الرسمية الصفراء
قمصانه المغسولة البيضاء
تنشر حولها نقاءَ قلبها الهانئ
وهي تروح وتجيء
... ...
والآن بعد أشهر الصيف الرديء
رأيتها.. ذابلة العينين والأعضاء
تنشر في شرفتها على حبال الصمت والبكاء
ثيابها السوداء!

-٥-

حبيبتي في لحظة الظلام.. لحظة التوهج العذبه

تصبح بين ساعديّ جثةً رطبه!

ينكسر الشوق بداخلي.. وتخفت الرغبه

أموء فوق خدها

أضرع فوق نهدها

أود لو أنفذ في مسامِّ جلدها

لكن.. يظل بيننا الزجاجُ.. والغيابُ.. والغربه!

...   .

وذات ليلة.. تكسَّرت ما بيننا حواجزُ الرهبه

فاحتضنتني.. بينما نحن نغوص في قرارة التُّربه

تبعثرت في رأسها شرائح الصورة والنجوم

واختلطت في قلبها الأزمنة الهشيم

لكنها وهي تناجيني

سمعتها تناديني

باسم حبيبها الذي قد حطم اللُّعبه

مخلّفًا في قلبها.. ندبه!!

بطاقة كانت هنا

ـ ١ ـ

المنزل الثالث بعد المنحنى

الطابق الأخير

بطاقة صغيرةٌ كانت هنا

وخيطُ ضوء كان من خلال بابها ينير!

الطابق الأخير..

الوحشة السوداء في الأعصاب تنغرس

يدي على الجرس

سُدًى.. سدى!!

تراجعت في أذنيَّ رحلة الصدى

واسَّاقط الرماد من لفافتي!

كانت هنا حبيبتي

عيونها محابرُ الضياع

عامٌ.. وعامان.. مدادُها الحزين لم يجفّ

صلاةُ هرة إلى الشتاء خلف باب

وبسمةٌ كأن نورسًا على المدى يرفّ!

ها أنذا..

يدٌ تساندت على الجدار

وخطوة تهبط للقرار!

ـ ٢ ـ

حانوتُ خمّار كئيب

يرسم في كئوسه عرائس الأحلام.. في الزجاج

توهجت عند امتلائها..

وبعد برهةٍ.. عاودها الشحوب!

حبيبتي ملامح ابتسامةٍ على بريقها الوهَّاج

«بنلوب» أين أنت يِا حبيبتي الحزينه؟

صيفان مُلْحدان في مخاطر الأمواج

كقبضةٍ من العفونه..

أعودُ.. كي يغتسل الحنين في بحيرة اللهيب

لكنما «بنلوب»

بطاقةٌ كانت هنا!

ووحشةٌ غريبةٌ.. وثقبُ بابٍ لم يعد يضيء!

وعنكبوتٌ قد أتمَّ ـ فوق ركنه ـ نسيجهُ الصوفيّ!

لقد أتمَّ العنكبوتُ ما بدأت في انتظارك الوفيّ!

ما كان كان..

لكنما ملامح الزجاج

لا تعرف النسيان!

ـ ٣ ـ

الليل عند المنتصف

يا سائق السيارة العجوز.. قِفْ

المنزل الثالث بعد المنحنى

لكنها يا صاحبي العجوز.. لم تعد هنا!

امض هناك حيث لا مكان

حيث البيوت دونما عنوان

أوغل بنا في رحلة السراب

قافلة الغناء تستعد للمسير خلف دورة الهضاب

لا تسأل الحادين عن وجهتها.. عن المآب

فهم هناك يرقبون أصبع النجوم

ضاعت معالمُ الطريق في الضباب

حبيبتي لا بد أنها هناك

تسأل عن رواحلَ ارتدَّت من الغروب

لا ترتبك.. فقد يضيع العمر في هنيهة ارتباك

حبيبتي: لقد نجوتُ من «سدوم»

طفلك آتٍ من مدينة الخراب

الموت ما يزال مقعيًا على الأبواب

الخاطئون..

هم الذين يرحلون

في هذه القافلة المسدودة الدروب

... ...

سُدًى.. سدى

تراجعت في أذنيّ رحلةُ الصدى

واساقط الرمادُ من لفافتي

ظمأ.. ظمأ

جسدي: صخرة صهرتها الظهيرة

حلقها يتفتَّتُ

والبحرُ بعد ذراعين.. بُعد السماء!

فرسُ الموج تنفِضُ أعرافها البيضَ..

تعدو بمركبة الزرقة اللهبيَّةِ..

لكنها تتحطم فوق الحواجز.. تهوى كسيرة!

أكشف الرأسَ تحت الرذاذِ..

أمدُّ يدي حاملاً كوبيَ الفارغَ الورقيَّ..

لتسبح فيه الفقاقيع ذات العيون الصغيرة

عطشٌ.. عطشٌ.. والنداء

خنجر في الهواء!

حين صار فمي فضةً: وقف الببَّغاء..

عاريا.. نزعت ريشَه يدُها المحنقه

قالت الزنبقة

«أرخ عينيك... وافتحهما..»

ثم.. لم ألقها في شجيرتها المُطرِقه!

شعرُها طائرٌ جرفته الرياح

شعرها والوشاح

وهي تعدو.. وما بيننا الصمتُ والقشعريره!

كل من شربوا.. هربوا دون أن يدفعوا ثمنًا للعزاء

رَحَلوا.. بعد أن قلبوا في التراب الإناء

ووفدتُ على الحانِ: لم أر غير الحطام..

وذبال المصابيح.. والقط يعبث بالفضلات الأخيره

ـ سيدي: مُلكك الحزنُ والكبرياء

خيطك؟ انقطع الخيطُ منك..

وعصفوره فرَّ دامي الجناح!

أمراء المدينة مروا إلى الصيد عند الصباح

الفريسة تجري... ولكن كلبك يُرخي الذَّنَبْ

وهو يكتم في رئتيه النباح!

* * *

في سكون المساء

كنت أنقر عين الشهيد المجسَّم فوق النُّصُبْ

حين مرَّ السكارى... يدورون في حلقات الصخب

يبدأون الغناء

«يا عيون النساء»

«أمطري.. أمطري»

«من تُرى تشتري خنجري»

«لتخبئه في حقيبتها..»

«ثم تبقر بطن غريمتها المومياء؟ »

(أيها الأشقياء!)

.. مرَّ بي التائه المغترب

فتمدّد فوق الحشائش.. ملتصقا بالرخام

وتَوسَّد دمعته.. ثم نام

(ظمئ الناس للدم في كل قلبٍ محب..

فاسْقِهِمْ يا غلام!)

مرَّ بي غاسلو الطرقات

فأداروا خراطيمهم، غسلوا النُصب الحجريَّ..

... وكنتُ على الدرجات

أتأوّه مرتعشًا.. وثيابي تلصق في جسدي المضطرب

الرياح تهبّ.. وتصفعني بالعواء

... ...

أهليَ الغرباء

عثروا بي مع الصبح.. أهذي بغيبوبة الموت..

محتقن الوجه.. خاوي الوفاض

يتفتّت حلقي لقطرة حُبّ...

غير أن الينابيع جفَّت بعينيَّ.. والبحر غاض..

والشطوط العِراض

تتناءى..

ويهوي البياض!

الحزن لا يعرف القراءة

تأكلني دوائُر الغُبار

أدور في طاحونة الصمتِ.. أذوب في مكاني المختار

شيئًا فشيئًا.. يختفي وجهي وراءَ الأقنعه

أعمدةُ البَرْق التي تطل من نوافذ القطار

كأنها سربُ إوزٍ أسود الأعناق

يطلق في سكينتي صرخته المروّعه

ويختفي.. متابعًا رحلته مع التيار!

* * *

(صوتُك كانَ!

أم نعاسُ الشهوة الماكر ما بين انفراج الشفتين؟

هذا الذي يشبك قلبي خاتمًا.. تحت نعومة القفَّاز

حتى إذا اغْتَسَلْت ـ في نهاية السهرة ـ من لزوجة الألفاظ

تخبئينه على نافذة الحمّام.. يستعيد ذكرياته..

ويسترد الزمنَ الضائع بين الصورتين؟!)

* * *

توقفي أيتها الأشرطة البيضاء

فقد نرى الخيط الذي خلَّفه الثعبانُ فوق الصحراء

وقد نرى عظام من ماتوا من الظمأ

وقد نرى.. وقد نرى..

لكنما الأشياء..

يدب فيها نبضُها الوحشيُّ..

نبضُها المكبوتْ

تذرو على وجهي دقيق دفئها..

ومزقًا من ورقات التُّوتْ

تشرع في العيون صولجانها المكسوّ بالصدأ

وفي المقاهي ترفع الصوت.. وتحكي عن فضائح البيوت!

ـ في آخر العمر، تصير الأذنُ عادةً
سلّة مهملات..!

* * *

(جوارب السيدة المرتخيه
ظلت تثير السخريه
وهي تسير في الطريق
وحين شدتها: تمزقت..
فانفجر الضحك.. ووارت وجهها مستخزيه
وهكذا أسقطها الصائد في شباك سيارته المفتوحة
فارتبكت وهي تسوِّي شعرها الطليق
وأشرقت بالبسمات الباكيه!)

* * *

لقد فقدتُ مقعدي... قبيل أن يرتفع الستار
وانكسرت في داخلي الرغبة في استرداده..
الرغبةُ في الشجار
فكل شيء يرتخي في لحظة التأهب المرتقبه

وتعبث الأيدي بأزرار قميصها المذهَّبه

وتنطفي فقّاعةُ السخط.. ببسمة اعتذار!

شيئًا فشيئًا.. غاب عن قلبيَ خيطُ الضوء!

واللحظة الملتهبه!

والنشوة الأولى التي تشدُّ الظهر..

حين يدق سمعَنا إيقاعُ خطو امرأة مقتربه!

وضحكة العذراء عندما يرشها رذاذُ البحر!

والألم الذي يهصرنا لطفلةٍ عرجاء!

والدفء في استغراق كهل جالسٍ.. يحل في هدوء..

مسابقات الكلمات..!!

* * *

رؤوسنا تسقط.. لا يسندها..

إلاّ حوافّ الياقة المنتصبه!

فارحم عذابي أيها الألم..

واسند حطاميَ المنهار.

١٩٦٧

بكائية الليل والظهيرة

ـ ١ ـ

في كل ليلٍ..

تخلع الذكرى ملابسها المغبرة القديمةَ

تستحم برشاشات الضوء.. تغسل فيه وعثاءَ الطريقِ

وتسترد نضارةَ الألوان.. والمرح القديمْ..

ندیانةً.. كالظِّل، تخلع خُفَّها المبلولَ..

تستلقي جواري في الظلام.. تضيء بشرتُها

برائحة التوغل في الحقولِ

برعشة القمر المؤرجح في مرايا النيل..

بالقطرات تلمع في منابت شعرها المحلولِ..

بالنبض الخجول.. يرف في استدفائها..

باللثغةِ الغنَّاء في الصوت الرخيمْ

.. وذراعها يلتفّ يرتعش التوهج تحت لمستِه

وتُقلع آخرُ السفن المقدسة المضيئة من مرافئها..

تشقّ النهر.. تنثر ما تبقى من رمادي

فوق أذرعة الخريف البائسات.. فتكتسى..

فوق الشفاه اليابسات... فترتوي..

فوق المروج.. فتنطوي في الليل موسيقى الجنادبِ..

في الحظائر.. يهدأ المُهرُ الحرونُ..

على مناقير الطيور.. فتطعم الأفراخ من توت الغناء الحلو

في عقم السماء.. فتنبض البشرى.. وتنعقد الغيوم

* * *

يا دقة الساعاتْ

هل فاتنا.. ما فات؟

ونحن ما زلنا..

أشباحَ أمنيَّات

في مجلس الأموات؟!

ـ ٢ ـ

فاض النهارُ بنا.. فمزق عن تصوِّفنا معاطفنا..

وألقانا على أعتاب مملكة النميمة.. والذباب يطنُّ..

والكلماتُ: أقداحٌ مكسَّرةُ الحواف..

إذا لثمناها.. تجرَّحت الرؤى!

والصمت: قضبان مُحَمَّاة على وهج البكاء

(فاض الإناء.. وعاملُ البرق الصغيرُ يدقُّ باب البيت..

«آه» وتسقطُ الشمسُ الصغيرة عن رداء النومِ

تبكي المرأةُ الأفعى على كتف العشيقِ..

وتستزيد من البكائيات.. تلقم صدرَها العاري يديهِ..

ـ لعله يبني بها بعد الحداد!..

تدير عينيها اللتين تندَّتا.. فأذابتا بقع الطلاء؟)

* * *

كان الطريق يدير لحنَ الموتِ ـ كان جهنميَّ الصوت ـ

فوق شرائط التسجيل..

في أسلاك هاتفهِ المحنَّكِ..

في صرير الباب من صدأ الغوايةِ..

في أزيز مراوح الصيف الكبيرةِ..

في هدير محرِّكات «الحافلات»

وفي شجار النسوة السوقيِّ في الشرفاتِ..

في سأم المصاعدِ..

في صدى أجراس إطفائيةٍ تعدو.. مصلصلة النداء

(.. كوني إذن ما شئتِ:

ساقطةً تدور على مواخير الموانئ..

وجه راهبة تضاجع صورة العذراءِ..

أمًّا تأكل الأطفالَ..

كوني أي شيءٍ ـ فيه نغمس خبزنا الحجريَّ ـ ملتهب الدماء!)

* * *

ندمُ الغبار يلح فوق وجوهنا..

ونلوذ بالجدران نحفر فوقها أسماءنا.. لكنها تتفتت!

الجدران وهمُ

والرجالُ الملصقون على مساحة صفحة الإعلانِ..

والصورُ الثمينة في المعارض.. والنقوش على المعابدِ..

والوسامُ العسكريُّ لأنبل الشهداء..

والزهو الذي يندسُّ في رحم النساء..

(.. تلك المرارة:

سممت جلسات شاي العصر..

سممت انتعاشتنا بلسع الماء في حمَّامنا الصيفي ـ

سممت البراءة في تساؤل طفلنا من أين جاء!)

* * *

يا آخر الدقات

قولي لنا.. من مات

كي نحتسي دَمَهُ

ونختم السهرات

بلحمه نقتات!

* * *

-٣-

ماذا تخبئ في حقيبتك العتيقة.. أيها الوجهُ الصفيق

أشهادة الميلاد؟

أم صكّ الوفاة؟

أم التميمة تطرد الأشباح في البيت العتيق؟

ماذا تخبئ أيها الوجه الصفيق؟!

ماذا تخبئ أيها الوجه الصفيق؟!

١٩٦٦

أشياء تحدث في الليل

«إلى صلاح حسين»

رخاوةُ النعاس تغمر المسافرين في قطار الليل

.. وفي حقول قريةٍ بعيدهْ

شَقّ السكون ـ فجأةً ـ عُواءُ ذئبْ

وانعقد الحليبُ في الضروع

وانطلقت رصاصةٌ:

فكفّت الأشياءُ ـ بعدها ـ عن الوجيب..

هنيهةً.. ثم استعادت نبضَها الرتيب..

وكانت الليلةُ.. لا تزال مقمره!

(كان النشيدُ الوطنيُّ يملأ المذياع منهيًا برامج المساءْ

وكانت الأضواءُ تنطفي..

والطرقات تلبس الجوارب السوداء
وتغمر الظلالُ روحَ القاهرة)
والدمُ كان ساخنًا يلوِّث القضبان
هذا دمُ الشمس التي ستشرق.. الشمس التي ستغرب..
الشمس التي تأكلها الديدان!
دمُ القتيل أحمر اللونِ..
دم القتيل أخضر الشعاعْ
خيطٌ عليه تُنشر الدموع.. كي تجفّ في أشعةِ الصبحِ
(وكان مبنى الاتحاد صامتًا.. منطفئ الأضواءْ
تسري إليه من عبير «هيلتون»َ القريبْ..
أغنيةٌ طروب!)
وكان وجهه النبيلُ مصحفًا عليه يُقسم الجياع
وكانت الذراعْ..
فارعةً.. كأن محراثا يشق الأرضَ!
كانت الذراعْ
ضامرةً.. كبذرة القمحِ
ضامرةً كالسِّنَّةِ الأولى التي تنبتُ في فم الرضيع!

(وكانت المطابعُ السوداء تلقي الصحف.. البيضاء
وصاحبان في ترام العودةِ الكسولْ
يختصمان في نتائج الكرهْ
وفي طريق الهَرَم الطويلْ
تبادلت سيارتان ـ كادتا في الليل أن تصطدما ـ
السِّباب!)

* * *

وفي الصباح، والنشيدُ الوطني يملأ الأسماعْ
كان فَرَاشُ الحقل يبدأ النشيجْ
وكانت الأصواتُ في القُرى... جنائزيةَ الإيقاع
ورحلةُ الموال في الضلوع تفرد القلوع:
«أدهم مقتول على كل المروج»
أدهم مقتول على الأرض المشاع».

... ...

وكان وجهه النبيل مُصْحَفًا..
عليه يقسم الجياع!

العشاء الأخير

بكائية

أعطني القدرة حتى أبتسم..

عندما ينغرس الخنجرُ في صدر المَرَحْ

ويدبّ الموت.. كالقنفذ.. في ظل الجدار

حاملاً مبخرة الرعب لأحداق الصغار

أعطني القدرة... حتى لا أموت

منهكٌ قلبي من الطرق على كل البيوت

علَّني في أعين الموتى أرى ظلّ ندم!

فأرى الصمت.. كعصفورٍ صغير

ينقر العينين والقلبَ.. ويعوي..

في ثنايا كلِّ فم!

ـ ١ ـ

«الرياحُ» اختبأت في القبو.. حتى تستريحْ..

.. فيه من أرجحة الأجساد فوق المشنقه

ووقفنا نحرس الباب.. ونحمي الأزْوقه

بينما خيلُ المماليك تدقّ الأرض بالخطو الجموح

يقتفون الأثرا

يسألون الدربَ عن خطوة ريحٍ فيه.. عن أية ريح!

فنغضّ البصرا

وَمَضوْا.. والسنبكُ المجنون يهوي.. فيصب الشررا

وتواروا في الحواري الضيقه

.. نحن عدنا نحمل البشرى لها

وهتفنا باسمها

وهززنا كتفيها.. عبثًا..

وتدلت رأسها في راحتينا.. ميتهْ!

نحن كنا نحرس الباب.. ونحمي.. اللافتهْ

وهي ـ تعويذتُنا ـ لم نحمها!

ـ ٢ ـ

الخيولُ المسرجه!

صهلت.. لكن هل الفرسان فرسانٌ كما كانوا.. غدا؟

والمهاميزُ التي تحملها الأقدام.. غاصت في القلوب!

وسيوفٌ ثلمت..

فقد استأجرها النخّاسُ.. تحمي هودجه!

وسيوفٌ قنعت أن تتدلى عند الاستعراض.. زينه!

وحمائل..

حملتها في دياجي الليل أضلاعُ المقاصل

ودفنّا نبلها المقهور في عام البكاء

.. شبحُ الفرسان ما زال على وجه المدينه

صامتًا يأتي إذا جاء المساء

صامتًا ينفض أطراف الرداء

ويمدِ الجسدا..

فيمد الخوفُ في الليل يدا!

ثم يمضي.. يحمل الأكفان.. يسري في الدروب

يحمل الأكفانَ أثوابَ ركوب!

والمهاميز التي تحملها الأقدام.. غاصت في القلوب!

ـ ٣ ـ

التحياتُ «مساء الموت» يا قلبي

فلا تلق التحية

ـ من ترى ماتَ؟

ـ أنا..

ـ أنت!

ـ أجل

ـ أنتَ لا تملك يوما أن تموتْ

ـ الحماماتُ لَوتْ أعناقها

والتوى حتى لساني بالرَّطانْ

ـ أنت لا تعرف من أنتَ

ـ أنا

منذ أن مات أبي..

كل من تعشقه أمي الثرّيه

كل من تعشقه أمي: أبٌ لي في العماد!

ـ ربما «أحمس» ربتهُ امرأه

ـ ذَهَبُ الشمس العجوز انصهر

وهوى فوق نفايات الثرى

وأنا أبكي على تلِّ الرماد!

يفتح المخلبُ أجفانَ العيون

لتَرى.. لكن تُرى ماذا تَرَى؟

(ساعة الحائط في معبد «هاتور».. انتهت دقاتُها

وانتهت «طروادةُ» البكر.. على وهمِ الحصان!)

ـ .. أنا «أوزوريس» صافحتُ القمر

كنتُ ضيفًا ومضيفا في الوليمه

حين أُجلستُ لرأس المائده

وأحاط الحرسُ الأسودُ بي

فتطلعت إلى وجه أخي..
فتغاضت عينُه.. مرتعده!
أنا أوزوريس.. واسيتُ القمر
وتصفحتُ الوجوه..
وتنبأتُ بما كان. وما سوف يكون؟
فكسرتُ الخبزَ.. حين امتلأت كأسي من الخمر القديمه
قلت: يا إخوةُ.. هذا جسدي.. فالتهموه
ودمي هذا حلالٌ.. فاجرعوه»!
خبأ المصباحُ عينيه.. بأهداب جناحيه..
لكي تخفى الجريمه
وتثنى الضوءُ من حد الخناجر!
ـ ربما أحياكَ يوما دمعُ «إيزيس» المقدس
غير أنا لم نعد ننجب إيزيس جديده
لم نعد نصغي إلى صوت النشيج
ثقلت آذانُنا منذ غرقنا في الضجيج
لم نعد نسمع إلا.. الطلقات!
(يفرض الرعبُ الطمأنينة في ظل المسدسْ..)

ـ الطمأنينةُ في ظل الحداد؟!

ـ سيدي.. نحن انزلقنا من ظهور الأمهات

بيد تضغط ثقب الجرح..

والأخرى على حرف الزناد!

ـ ٤ ـ

عندما يبتلع (الكورنيش) أضواء الغروب

تسعل الظلمةُ فيه والبروده

يحمل الجوعُ إلى العار.. وليده

كلمات..

ثم تنسلُّ من البرد.. لدفء العربات

والمصابيحُ: شظايا قمر.. كان يضيء

حطّمته قبضةُ الطاووس فوق الطرقات

ثم أهدته إلى النسوة.. كي يصلبنه فوق الصدور

يتباهين به.. وهو رفات!

كلمات.. كلمات

ثم تنسل من البرد لدفء العربات

وأنا «يوسفُ» محبوب «زليخا»

عندما جئتُ إلى قصر العزيز

لم أكن أملك إلا .. قمرا

(قمرًا كان لقلبي مدفأة)

ولكم جاهدتُ كي أخفيَه عن أعين الحرَاس..

عن كلِّ العيون الصدئة

.. كان في الليل يضيء!

حملوني معه للسجن حتى أطفئه

تركوني جائعًا بضع ليال..

تركوني جائعا..

فتراءى القمرُ الشاحب ـ في كفيَّ ـ كعكه!

وإلى الآن.. بحلقي ما تزال..

قطعةٌ من حزنه الأشيبِ... تُدميني كَشوْكه!

* * *

أعطني القدرةَ حتى أبتسم..

فشعاع الشمس يهوى كخيوط العَنكبوت

والقناديل تموت

قدمي تلتمس السُّلمة الأولى لكي أصعد فوقا

ويدي تلتمس الحاجزَ إذ أخشى السقوط

كيف أبقى؟

عفن الموتى.. وأطياب الحنوط

نكهة تكسو فِناءَ البيت.. تسري في دمي عرقًا فعرقًا

.. منهكٌ قلبي من الظلمِة.. إني لا أرى

آه لو لم ألتهمه ـ القمر الشاحب ـ لو..

ربما نوَّر في الظلمة برهه

غير أني كنتُ جائعًا

وأنا الآن فقدتُ القمرا.

... ...

جائع يا قلبي المعروض في سوق الرياء

جائع.. حتى العياء

ما الذي آكله الآن إذن..

كي لا أموت؟

ديسمبر ١٩٦٣

حديث خاص مع أبي موسى الأشعري

(حاذيت خطو الله.. لا أمامه..

لا خلفه..)

ـ ١ ـ

.. إطارُ سيارته ملوثُ بالدمّ!

سارَ.. ولم يهتمّ!!

كنتُ أنا المشاهدَ الوحيدْ

لكنني.. فرشتُ فوق الجسد الملقى جريدتي اليوميَّه

وحين أقْبَلَ الرجالُ من بعيد..

مزقت هذا الرقم المكتوب في وريقةٍ مطويّه

وسرتُ عنهم.. ما فتحتُ الفمّ!!

* * *

(حاربتُ في حربهما

وعندما رأيتُ كلاًّ منهما.. مُتَّهما

خلعتُ كلاًّ منهما!

كي يسترد المؤمنون الرأي والبيعه

.. لكنهم لم يدركوا الخدعه!)

* * *

حين دلفتُ داخل المقهى

جرَّدني النادلُ من ثيابي

جردتُه بنظرةِ ارتيابِ

بادلتُه الكُرْها!

لكنني منحتهُ القرشَ: فزيَّن الوجها..

ببسمةٍ.. كَلْبِيَّةٍ.. بَلْهَا..

ثم رسمتُ وجهه الجديدَ.. فوق علبةِ الثقابِ!

ـ ٢ ـ

رأيتُهم ينحدرون في طريق النهرْ..

لكي يشاهدوا عروسَ النيل ـ عند الموتِ ـ في جَلْوتها الأخيره
وانخرطوا في الصلوات والبكاءْ
وجئتُ.. بعد أن تلاشت الفقاقيعُ.. وعادت الزوارقُ الصغيره
رأيتهم في حلقات البيع والشراءْ
يقايضون الحزنَ بالشواءْ!
.. تقول لي الأسماكْ
تقول لي عيونُها الميِّتة القريره:
إن طعامها الأخيرَ.. كان لحمًا بشريًا..
قبل أن تجرفها الشبَّاكْ
يقول لي الماءُ الحبيسُ في زجاج الدورقِ اللمَّاعْ
إن كلينا.. يتبادلان الابتلاع!
تقول لي تحنيطة التمساح فوق باب المنزل المقابلْ
إنَ عظامَ طفلةٍ.. كانت فراشَ نومه في القاع!!

* * *

(خلعتُ خاتمي.. وسيدي
فهل تُرى أحصي لكِ الشاماتِ في يدي
لتعرفيني حين تُقْبلين في غدِ

وتغسلين جسدي

من رَغَواتِ الزّبَدِ؟!)

* * *

في ليلة الوفاء

رأيتُها ـ فيما يرى النائمُ ـ مُهرةً كَسْلَى

يسرجُها الحوذيُّ في مركبةِ الكراءْ

يهوي عليها بالسياط.. وهي لا تشكو.. ولا تسيرْ!

وعندما ثرتُ.. وأغلظتُ له القولا..

دارت برأسها..

دارت بعينيها الجميلتينْ

رأيتُ في العينين: زهرتين

تنتظران قبلةً. من نحلةٍ هِيضَ جناحُها.. فلم تَعُد تطيرْ!

.. رأيتُها ـ فيما يرى النائم ـ طفلةً.. حبلى!

رأيتُها.. ظلا!

وفي الصباح: حينما شاهدتُها مشدودةً إلى الشراعْ

ابتَسَمَتْ.. ولَوَّحَتْ لي بالذراع

لكنني: عَثُرتُ في سيري!

رأيتُني.. غيري!

وعندما نهضتُ: ألقيتُ عليها نظرةَ الوداع

كأنني لم أرها قبلا!

فأطرقت خجلى..

ولم تَقُلْ إني رأيتُها.. ليلا!

-٣-

خرجتُ في الصباح.. لم أحمل سوى سجائري

دسستُها في جيب سترتي الرماديّة

فهي الوحيدةُ التي تمنحني الحبَّ.. بلا مقابل!

* * *

رؤيا:

(ويكون عامٌ.. فيه تحترقُ السنابلُ والضروعْ

تنمو حوافرُنا ـ مع اللعنات ـ من ظمأٍ وجوعْ

يتزاحفُ الأطفالُ في لعق الثرى!

ينمو صَديدُ الصّمغ في الأفواهِ..

في هُدب العيون.. فلا ترى!

تتساقط الأقراطُ من آذان عذروات مصرْ!

ويموت ثديُ الأمِّ... تنهضُ في الكرى

تطهو ـ على نيرانها ـ الطفل الرضيع!!

* * *

حاذيت خطو الله.. لا أمامهُ.. ولا خلفه

عرفتُ أن كلمتي أتفَهْ..

من أن تنال سيفَه أو ذَهَبَهْ

(حين رأت عيناي ما تحت الثياب: لم يَعُد يثيرني!)

قلبت ـ حينا ـ وجهيْ العُمله

حتى إذا ما انقضت المهله

ألقيتها في البئر.. دون جلبه!

وهكذا.. فقدتُ حتى حِلْمَه وغَضَبَهْ

* * *

(عيناكِ: لحظتا شرُوق

أرشف قهوتي الصباحيةَ من بُنِّهما المحروقْ

وأقرأ الطالعْ!

وفي سكون المغربِ الوادعْ

عيناك.. يا حبيبتي.. شُجيرتا برقوقْ

تجلس في ظلِّهما الشمسُ.. وترفو ثوبها المفتوقْ

عن فخذها الناصع!)

ـ ٤ ـ

.. وستهبطين على الجموع

وترفرفين.. فلا تراكِ عيونُهم.. خلف الدموعْ

تتوقفين على السيوف الواقفهْ

تتسمَّعين الهمهماتِ الواجفهْ

وسترحلين بلا رجوعْ!

... ...

ويكون جوعْ

ويكون جوعْ!

مارس ١٩٦٧

من مذكرات المتنبي
(في مصر)

** أكرهُ لون الخمر في القنّينه

لكنني أدمنتها.. استشفاءَ

لأنني منذ أتيتُ هذه المدينه

وصرتُ في القصور ببّغاءَ

عرفتُ فيها الداءَ

* * *

** أمثل ساعة الضحى بين يديْ كافور

ليطمئن قلبه.. فما يزال طيره المأسور

لا يترك السجن ولا يطير!

أبصر تلك الشفة المثقوبه

ووجهه المسودّ.. والرجولة المسلوبه

أبكي على العروبه!

* * *

** يومئ.. يَسْتَنْشِدني.. أنشده عن سيفه الشجاع

وسيفه في غمده.. يأكله الصدأ!

وعندما يسقط جفناه الثقيلان.. وينكفئ

أسير مثقل الخطى في ردهات القصر

أبصر أهل مصر..

ينتظرونه.. ليرفعوا إليه المظلمات والرقاع!

* * *

.. جاريتي من حلب..، تسألني «متى نعود؟»

قلت: الجنود يملأون نقط الحدود

ما بيننا وبين سيف الدولة

قالت: سئمت من مصر.. ومن رخاوة الركود

فقلت: قد سئمتُ ـ مثلك ـ القيام والقعود

بين يدي أميرها الأبله

لعنت كافورا

ونمت مقهورًا..

* * *

** «خَوْلَةُ» تلك البدويّة الشَّموس

لقيتها بالقرب من «أريحا»

سويعةً.. ثم افترقنا دون أن نبوحا

لكنها كل مساء في خواطري تجوس

يفترُّ بالشوق وبالعتاب ثغرُها العبوس

أشم وجهها الصبوحا

أضم صدرها الجموحا!

... ...

سألتُ عنها القادمين في القوافلْ

فأخبروني أنها ظلت بسيفها تقاتلْ

في الليل تجارَ الرقيق عن خبائها

حين أغاروا.. ثم غادروا شقيقها ذبيحا

والأبَ عاجزًا كسيحا

واختطفوها.. بينما الجيران يرنون من المنازل

يرتعدون جسدا وروحا

لا يجرؤون أن يغيثوا سيفها الطريحا!

... ...

(ساءلني كافور عن حزني

فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطه

شريدةً.. كالقطه

تصيح (كافوراه.. كافوراه..»

فصاح في غلامه أن يشتري جاريةً روميَّة

تُجلد كي تصيح «واروماه... واروماه..»

.. لكي يكون العين بالعين

والسنُّ بالسنِّ!)

* * *

** في الليل.. في حضرة كافور.. أصابني السأم

في جلستي نمت.. ولم أنم

حلمت لحظةً بكا

وجندكَ الشجعان يهتفون: سيف الدوله

وأنت شمس تختفي في هالة الغبار عند الجوله

ممتطيًا جوادك الأشهب..، شاهرًا حسامك الطويل المهلكا

تصرخ في وجه جنود الروم

بصيحة الحرب.. فتسقط العيونُ في الحلقوم!

تخوض.. لا تبقي لهم إلى النجاة مسلكا

تهوي.. فلا غير الدماء والبكا

ثم تعود باسمًا.. ومنهمكا

والصبية الصغار يهتفون في حلب:

«يا منقذ العرب»

حين تعود.. باسمًا.. ومنهكا

حلمتُ لحظة بكا

حين غفوتُ

لكنني حين صحوتُ

وجدت هذا السيد الرخوا

تصدر البهوا

يقص في ندمانه عن سيفه الصارم

وسيفه في غمده يأكله الصدأ!

وعندما يسقط جفناه الثقيلان.. وينكفئ..

يبتسم الخادم..!

* * *

.. تسألني جاريتي أن أكتري للبيت حرّاسا

فقد طغى اللصوص في مصر.. بلا رادع

فقلت: هذا سيفي القاطع

ضعيه خلف الباب. متراسا!

(ما حاجتي للسيف مشهورا

ما دمت قد جاورت كافورا؟)

.. «عيدٌ بأية حال عدت يا عيدُ؟

بما مضى؟ أمْ لأرضي فيكِ تهويدُ؟

«نامت نواطير مصر» عن عساكرها

وحاربتْ بدلاً منها الأناشيدُ!

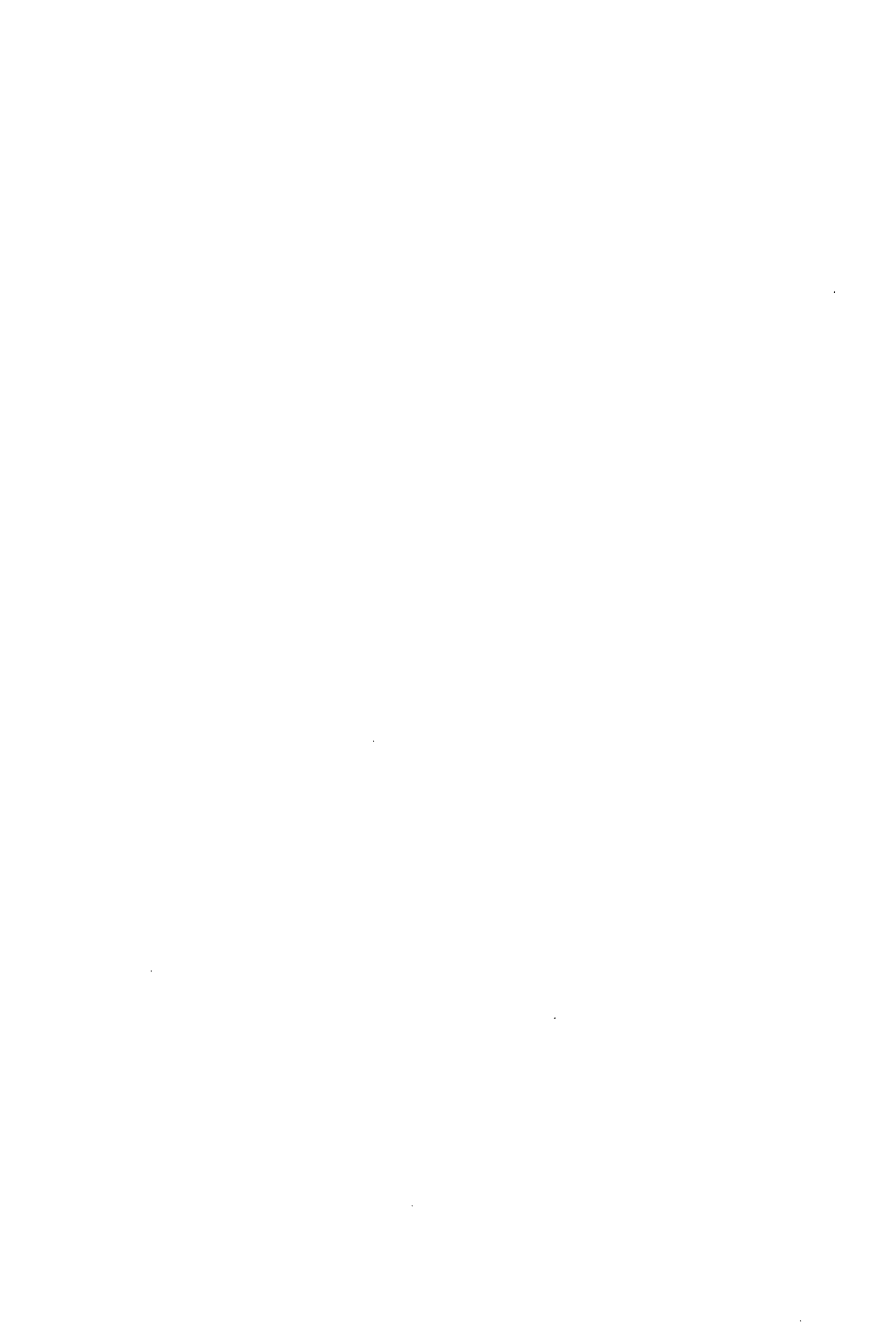
ناديتُ: يا نيل هل تجري المياه دمًا

لكي تفيض.. ويصحو الأهل إن نودوا؟

«عيدٌ بأية حال عدت يا عيد»؟

حزيران ١٩٦٨

تعليق على ما حدث



في انتظار السيف!

وردةٌ في عروة السرَّةِ:

ماذا تلدين الآنَ؟

طفلاً.. أم جريمهْ؟

أم تنوحين على بوّابةِ القدس القديمة؟

عادت الخيلُ من المشرقِ..

عاد (الحسنُ الأعصَمُ) والموتُ المُغِير

بالرداءِ الأرجوانيّ.. وبالوجه اللصوصيِّ..

وبالسيف الأجيرْ

فانظري تمثالَه الواقفَ في الميدانِ..

(يهتزُّ مع الريحِ!)

انظري من فرجةِ الشبّاكِ:

أيدي صبيَةٍ مقطوعةُ..

مرفوعةٌ.. فوق السّنانْ

(.. مُردِفًا زوجته الحبُلى على ظهر الحصانْ)

انظري خيطَ الدمِ القاني على الأرضِ:

«هنا مَرَّ.. هنا»

فانَفَقَأت تحت خُطى الجندِ..

عيونُ الماءِ..

واستلقت على التربة.. قاماتُ السنابلْ

آه.. ها نحن جياعُ الأرضِ نصطفُّ

لكي يُلقي لنا عهدَ الأمانْ

ينقش السكةَ باسمِ الملك الغالبِ..

يُلقي خطبة الجمعةِ باسم الملكِ الغالبِ..

يَرقْى منبرَ المسجدِ

بالسيف الذي يبقُرُ أحشاءَ الحواملْ

* * *

تلدين الآن من يحبو

فلا تسنده الأيدي،

ومن يمشي.. فلا يرفع عينيه إلى الناسِ،

ومن يخطفه النخاسُ

قد يصبح مملوكا يلوطون به في القصرِ،

يُلقون به في ساحةِ الحربِ..

لقاءَ النصرِ،

هذا قدرُ المهزومِ:

لا أرضَ.. ولا مالَ

ولا بيتَ يردُ البابَ فيه..

دون أن يَطْرقه جاب..

وجنديٌ رأى زوجتَه الحسناءَ في البيتِ المقابلْ)

انظري أُمّتكِ الأولى العظيمه

أصبحت: شرذمةً من جثثِ القتلى..

وشحاذين يَسْتَجْدون عطفَ السيفِ،

والمالَ الذي ينثره الغازي..

فَيهوي ما تبقّى من رجال..

وأرومهْ

انظري..

لا تفزعي من رجعة الخزي..

انظري..

حتى تَقِيئي ما بأحشائك..

من دفءِ الأمومه

* * *

تُقْفرُ الأسواقُ يومينِ..

وتعتاد على «النقد» الجديدْ

تشتكي الأضلاعُ يومين

وتعتاد على السوطِ الجديدْ

يسكت المذياعُ يومين..

ويعتاد على الصوت الجديدْ

وأنا منتظرٌ.. جنب فراشكْ

جالسٌ أرقب في حمّى ارتعاشكْ ـ

صرخة الطفلِ الذي يفتح عينيه..

على مرأى الجنود!

يوليو ١٩٧٠

فقرات من كتاب الموت

ـ ١ ـ

كلَّ صباحٍ...

أفتح الصنبورَ في إرهاقْ

مغتسلاً في مائهِ الرقراقْ

فيسقط الماءُ على يدي.. دَمَا!

... ...

وعندما..

أجلس للطعام.. مُرغَما:

أبصر في دوائر الأطباقْ

جماجمًا..

جماجما..

مفغورةَ الأفواه والأحداق!!

- ٢ -

أحفظ رأسي في الخزائن الحديديّهْ

وعندما أبدأ رحلتي النهاريّه

أحمل في مكانها.. مذياعا!

(أنشر حوليَ البيانات الحماسيّةَ.. والصداعا)

وبعد أن أعود في ختام جولتي المسائيّه

أحمل في مكان رأسي الحقيقيّه:

.. قِنِّينةَ الخمرِ الزجاجيّه!

- ٣ -

أعودُ مخمورا إلى بيتيَ..

في الليلِ الأخيرْ

يوقفُني الشرْطيُّ في الشارع.. للشُّبهه

يوقفني.. برهه!

وبعد أن أرشُوَهُ.. أواصل المسير!

... ...

توقفني المرأةُ..

في استنادها المثير

على عمود الضوءِ:

(كانت ملصقاتُ «الفَتْحِ» و «الجبهه»..

تملأ خلفَ ظهرها العمودا!).

تسألني لفافةً:

(لم يترك الشرطيُ..

واحدةً من تبغها الليليْ)

تسألني إن كنتُ أمضي ليلتي.. وحيدًا

وعندما أرفع وجهي نحوها

سعيدا

أبصر خلف ظهرها: شهيدًا

معلَّقا على الحائطِ.. ناصعَ الجبهه

تغوص عيناهُ.. كنَصْلينِ رصاصيَّين

أصرخ من رهافة الحدَّين

.. أمضي بلا وجهه!!

ـ ٤ ـ

فاجأني الخريف في نيسان
وطائرُ السمَّان
حط على شواطئ البحر الشماليه
طلبتُ من تحبه نفسي.. قبيل النومْ
فلم أجدْ.. إلا عذاب الصوم
طلبتُ من تحبُّه نفسي
(في الظلِّ والشمسِ)
فلم أجد.. نفسي!!
... ...
وها أنا خلف النوافذ الزجاجيه
أرقبُ عند المغرب الشاحبْ:
طائريَ الغائبْ!

١٩٦٩

الحداد يليق بقطر الندى

جوقة:

قَطرُ الندى.. يا خال

مُهْرٌ بلا خَيَّال

... ...

قطرُ الندى .. يا عينْ

أميرةُ الوجهين

... ...

صوت:

كان (خمارويه) راقدًا على بحيرة الزئبقْ

وكانت المغنِّياتُ والبناتُ الحورْ

يطأن فوق المِسْك والكافورْ

والفقراءُ والدراويشُ أمام قصره المُغْلَقْ

ينتظرون الذهب المبدورْ

ينتظرون حفنةً صغيرةً.. من نُورْ

جوقة:

قطر الندى.. يا عينْ

أميرةُ الوجهين

... ...

قطر الندى..

قطر الندى..

صوت:

هودجُها يخترقُ الصحراءْ

تسبقه الأنباءْ

أمامها الفُرسانُ ألف ألف

وخلفها الخصيانُ ألف ألف

تعبر في سيناء

جوقة:

قطر الندى.. ياليلْ

تسقط تحت الخيلْ

... ...

قطر الندى.. يا مصر

قطر الندى في الأسرْ

... ...

(استمرار):

تعبر في سيناء

تعبر في مضارب البَدْوِ.. وفي نضوبِ عين الماءْ

عند انتصاف الصيفْ..

تحلم بالوصولِ للأردُن

ترخي أعنَّةَ الخيولِ حول مائهِ..

تغسلُ وجهَ الحزنْ

جوقة:

قطر الندى.. يا مصر

قطر الندى في الأسر

قطر الندى..

قطر الندى..

الصوت والجوقة:

.. كان (خمارويهُ) راقدًا على بحيرة الزئبْقْ

في نومةِ القيلُولَهْ

فمن تُرى ينقذُ هذه الأميرة المغلولَهْ؟

من يا تُرى ينقذها؟

من يا تُرى ينقذها؟

بالسيف...

أو بالحيلهْ؟!

١٩٦٩

صفحات من كتاب الصيف والشتاء

١ ـ حمامة

حين سَرَتْ في الشارع الضوضاءْ
واندفَعَت سيارةٌ مجنونةُ السائقْ
تُطْلِق صوتَ بُوقها الزاعقْ
في كبد الأشياء
تَفَزّعَتْ حمامةٌ بيضاء
(كانت على تمثال نهضة مصر..
تَحلُمُ في استرخاءْ)
... ...
طارت.. وحطَت فوقَ قُبّةِ الجامعةِ النحاسْ

لاهثةً.. تلتقط الأنفاسْ

وفجأةً: دندنت الساعهْ

ودقت الأجراسْ

فحلَّقَتْ في الأفقِ.. مُرتاعهْ!

... ...

أيَّتها الحمامةُ التي استقرتْ

فوق رأسِ الجسرْ

(وعندما أدار شُرطيُّ المرورِ يَدَهُ

ظنّتْهُ ناطورًا.. يصدُّ الطيرْ

فامتلأت رعبا!)

أيتها الحمامةُ التعبى:

دُوري على قباب هذه المدينة الحزينهْ

وأنشدي للموتِ فيها.. والأسى.. والذعْرْ

حتى نرى عند قدومِ الفجرْ

جناحَكِ الملْقى..

على قاعدةِ التمثالِ في المدينهْ

.. وتعرفين راحة السكينه!

٢ ـ ساق صناعية

في الفندقِ الذي نزلتُ فيه قبلَ عامْ

شاركني الغرفهْ

فأغلق الشرفْه

وعَلَّقَ (السُّترة) فوق المشجب المُقَام

وعندما رأى كتابَ (الحربِ والسلام)

بين يديَّ: اربدَّ وجهُه

ورفَّ جفنُه.. رَفَّهْ

فغالبَ الرجفه

وقصَّ عن صَبِيَّةٍ طارحها الغرامْ

وكان عائدا من الحربِ.. بلا وسام

فلم تُطق.. ضعفهْ

ولم يجد ـ حين صحا ـ إلا بقايا الخمرِ والطعام!

... ...

ثم روى حكايةً عن الدمِ الحرامْ

(.. الصحراءُ لم تُطِق رَشفَهْ..

فظلَّ فيها.. يشتكي ربيْعُهُ صَيْفَهْ..)

وظلَّ يروي القصصَ الحزينة الختامْ

حتى تلاشى وجهُهُ

في سُحُبِ الدخانِ والكلامْ

وعندما تحشرجَ الصوتُ به.. وطالت الوقفهْ

أدرتُ رأسي عنه..

حتى لا أرى دمعَتَه العَفّه

ومن خلايا جسدي: تفصَّدَ الحزنُ..

وبلَّل المسَامْ

... ...

وحين ظنّ أنني أنام

لمحتُه يخلع ساقَه الصناعية في الظلام

مُصَعِّدًا تنهيدةً..

قد أحرقت جوفهْ

٣ ـ شتاء عاصف

كان (ترام الرمل)..
مُنْبَعجا كامرأةٍ في أخرياتِ الحَملْ
وكنتُ في الشارعْ
أرى شتاءَ (الغضبِ الساطعْ)
يكتسح الأوراقَ والمعاطفا
وكانت الأحجارُ في سكونها الناصعْ
مغسولةً بالمطرِ الذي توقَّفا
وكان في المذياع
أغنيةٌ حزينةُ الإيقاعْ
عن (ظالمٍ لاقيتُ منه ما كفى..)
قد (علَّموه كيف يجفو.. فجفاَ)

* * *

جلستُ فوق الشاطئ اليابسْ
وكان موجُ البحرْ

يصفع خدَّ الصخر

وينطوي ـ حينًا ـ أمام وجهه العابسْ

.. وترجعُ الأمواجْ

تنطحه برأسها المُهتاجْ

ودون أن تَكُفَّ عن صراعها اليائس..!

ودون أن تكُفَّ عن صراعها اليائس..!

مارس ١٩٦٩

تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات

ـ ١ ـ

.. قلتُ لكم مرار

إن الطوابيرَ التي تمرُّ..

في استعراض عيد الفطر والجلاءْ

(فتهتف النساءُ في النوافذ انبهارا)

لا تصنع انتصارا

إن المدافع التي تصطف على الحدود.. في الصحاري

لا تطلق النيرانَ.. إلا حين تستدير للوراء

إن الرصاصة التي ندفعها فيها..

ثمن الْكِسْرَةِ والدواء:

لا تقتل الأعداء

لكنها تقتلنا.. إذا رفعنا صوتنا جهارا

تقتلنا وتقتل الصغارا!

ـ ٢ ـ

قلتُ لكم في السنة البعيده

عن خَطَرِ الجنديّ

عن قلبه الأعمى.. وعن همّته القعيده

يحرس مَنْ يمنحُه راتبه الشهريّ

وزيّه الرسميّ

ليُرهبَ الخصومَ بالجعجعةِ الجوفاءِ

والقعقعة الشديده

لكنه.. إنْ يَحِنِ الموتُ

فداء الوطن المقهور والعقيده:

فرَّ من الميدانْ

وحاصَرَ السلطانْ

واغتَصَبَ الكرسيّ

وأعلن «الثورة» في المذياع والجريده!

-٣-

قلتُ لكم كثيرا

إن كان لا بدّ لكم من هذه الذريّة اللعينه

فليسكنوا الخنادقَ الحصينه

(متخذين من مخافر الحدود.. دُورا)

لو دخل الواحدُ منهم هذه المدينه:

يدخلها.. حسيرا

يلقي سلاحه.. على أبوابها الأمينه

لأنه.. لا يستقيم مَرَحُ الطفلِ..

وحكمةُ الأبِ الرزينه

مع المُسَدّس المدلّى من حزام الخصرِ..

في السِوقِ..

وفي مجالس الشورى

* * *

قلتُ لكمْ

لكنكم..

لم تسمعوا هذا العبثْ

ففاضت النارُ على المخيمات

وفاضت.. الجثثْ!

وفاضت الخُوذاتُ والمدرّعاتْ

سبتمبر ١٩٧٠

ميتة عصرية

ـ ١ ـ

فتح المذياعَ.. واستلقى!

وكان القدحُ الساخنُ..

في وحدته المستغرقه

(.. يدخل الطيف الذي يهبط.. بغتهْ

يسكتُ المذياعُ.. سكته...)

ـ (موجز الأنباء)..

.. ألقت يدُه السيجارةَ المحترقه

صَرَّت النافذة المنغلقه

...   .

(.. يعبر الغرفةَ:

فوق الحائط الأزرقِ... صوره

ظلَّ يَجْلُو تحتها خنجرَه... مبتسما)

... ...

مَدَّ ساقيِه..

وكان الرعبُ في عينيهِ...

صار الصوتُ والموتُ

عدوًا واحدًا

منقسما!

* * *

ظل في مقعدِه..

سار الترامْ

وهو في مقعده..

كلَّت ـ على البابِ ـ يدا بائعةِ الخبز الصغيرهْ

وهو في مقعدِه..

كفَّ فحيحُ الصمتِ في المذياعِ..

وانساب «السلام»

وهو في مقعدِهِ..

(موجز أنباء الصباح)

وهو في مقعدِهِ..

... ...

في يده سيجارةٌ ملتصقه

وعلى الحائِط.. صوُره!!

ـ ٢ ـ

ـ من ذلك الهائمُ في البريّهْ؟

ينام تحت الشجرِ الملتفِّ والقناطر الخيريّه؟

ـ مولاي: هذا النيلُ..

نيلُنا القديم!

ـ أين تُرى يعملُ.. أو يقيْم؟

ـ مولاي:

كنا صبيَةَ نَنْدسُّ في ثيابه الصيفيّه

فكيف لا تَذكُرهُ؟

وهو الذي يُذكَرُ في المذياعِ والقصائد الشعريّه؟

هل كان قائدًا؟

مولاي: ليس قائدًا

لكنما السياحُ في الشتاء ذي الأقمصة

القصير الأكمامْ

يأتون كي يروه..

ـ آه.. ويُصوِّرونه.. بوجهه الباكي

وكوفيته القطنيهْ

لكي يُشَهِّروا بنا

بالنظم الثوريهْ..

تعالَ كي نودعه في ملجأ الأيتامْ

ـ مولاي

هكذا تحبُّه الصبايا.. والرعاةُ.. والأغنام

وأمُّ كلثومِ تغني له..

في وَصلتها الشهريه!

ـ النيلُ!

أين يا تُرى سمعت عنه قبل اليومْ؟!

أليس ذلك الذي..

كان يضاجعُ العذارى؟!

ويحب الدمْ؟!

مولاي: قد تساقطت أسنانه في الفمْ

ولم يَعُد يَقوى على الحبِّ.. أو الفروسيّه

ـ لا بد أن يبرز لي أوراقه الشخصيّه

فهو صَمُوت!

يصادق الرعاعَ..

يهبط القُرى..

ويدخل البيوتْ..

ويحمل العشاقَ في الزوارقِ الليليه

ـ مولاي؟ هذا النيلْ..!!

ـ لا شأنَ لي بنيلك المُشرَّد المجهولْ

أريد أن يبرز لي أوراقَه الرسميّه:

شهادة الميلادِ.. والتطعيمِ.. والتأجيلْ
والموطنِ الأصليِّ.. والجنسيّه
.. حتى يمارسَ الحريَّه!

-٣-

.. ويُلقي المعلمُ مقطوعةَ الدرسِ..
في نصف ساعه:
(ستبقى السّنابلْ..
وتبقى البَلابِلْ.
تغرِّد في أرضنا.. في وداعه..)
...   .
ويكتب كلُّ الصغارِ بصدقٍ وطاعهْ:
(ستبقى القنابلْ..
وتبقى الرسائل..
نُبَلِّغها أهلنا.. في بريدِ الإذاعه)

١٩٧٠

الوقوف على قدم واحدة!

كادت تقولُ لي «مَنْ أنتْ»؟!

... ...

(.. العقربُ الأسودُ كان يلدغُ الشمسَ..

وعيناها الشَّهيِّتان تلمعان!)

ـ أأنتَ؟!

لكنِّي رددتُ بابَ وجهي.. واستكنتْ

(.. عرفتُ أنّها..

تنسى حزامَ خصرها

في العرباتِ الفارهه!)

* * *

أسقطُ في أنياب اللحظاتِ الدنسةْ

أتشاغلُ بالرشفةِ من كُوب الصمت المكسور

بمطاردةِ فَرَاشِ الوهمِ المخمور

أتلاشى في الخيطِ الواهنْ:

ما بين شُرُوع الخنجرِ.. والرقَبَه

ما بين القدمِ العارية وبين الصحراء الملتهبه

ما بين الطلقةِ.. والعصفورْ!

* * *

يهتزُّ قُرطُها الطويلْ..

يراقصُ ارتعاشَ ظلِّه..

على تَلَفُّتَاتِ العُنُقِ الجميلْ

وعندما تلفُظُ بذرَ الفاكهة

وتطفئُ التبغةَ في المنفضةِ العتيقةِ الطرازْ

تقول عيناها: استرح!

والشَّفَتان.. شوكتان!!

* * *

(تبقينَ أنتِ: شَبَحًا يفصل بين الأخوين

وعندما يفورُ كأس الجعةِ المملوءُ..

في يد الكبير:

يقتلُك المقتولُ مرتين!

* * *

أتأذنين لي بمعطفي

أخفي بهِ..

عورة هذا القمرِ الغارقِ في البحيرةَ

عورةَ هذا المتسوّل الأمير

وهو يحاورُ الظلالَ من شُجيرة إلى شجيرةَ

يطالعُ الكفَّ لعصفورٍ مُكسَّرِ الساقين

يلقطُ حَبَّةَ العينين

لأنه صَدَّقَ ـ ذات ليلة مَضَت ـ

عطاءَ فملكِ الصغير..

عطاءَ حُلمكِ القصير..

رباب

ـ ١ ـ

جلستُنا الأولى: وعيناكِ المليئتان بالفضولْ..

تفتّشان عن بدايةِ الحديثِ..

وابتسامةٌ خجولْ..

في شفتيك العذبتين.. وارتباكُنا يطولْ..

في لحظات الصمتِ والظمأْ

نَقَّرْتُ فوق مسند المقعدِ

قلتُ ما يقال عن رداءة الطقسِ..

تسمَّرت عيناي في استدارة الياقةِ

في معطفكِ الجميلْ

وكان صوتُك المغني يتحسس الطريقَ في شراييني..

ويمسح الصدأْ

وكنتُ ألوي في رباط عُنُقي..

أربتُ ظهرَ قلقي..

أمسح خيطَ العَرَق الضئيلَ.

أبصر: شرخًا في زجاج البابِ..

لون الزخرف المنقوشِ في مفارش الموائدِ..

الوردةَ.. وهي تنحني في الكوبِ..

شفَّها الذبولْ

... ...

ليلتَها: عيناكِ هاتان المليئتان بالفضولْ

طاردتاني لحظة بلحظةٍ..

في دوران السلَّم الطويلْ

وفي سريري ظَلّتا تغنِّيان آخرَ الليلِ

وحين ضاق الصدرُ بالحنين.. وامتلأ

رفرفتا حولي

فقلتُ.. قلتُ لهما كلَّ الذي أردتُ أن أقولْ..

* * *

(.. كنا جارين طويلا

وخليج عيونٍ خضر ترسو فيه

أشرعةُ الشوقْ

قلبي ما كاد يشبُّ عن الطوقْ

حتى أبحَرَ في عينيها الواسعتينِ..

برحلته الأولى

.. لكي أشهدها ـ الليلة ـ تتكئُ عليهِ..

كما كانت تتكئُ عليّ!

يشبك في إصبعها خاتمه الذهبيّ

وتمرُّ على جبهته بأناملها الرخصه

... ...

هل تهجرني الأحزان؟

وأنا أشهد فاتنتي تستدفئ..

في أحضان القرصانْ؟)

-٢-

ألمح وجهَكِ المضيءَ.. يا ربابْ

في مستطيل النورِ عندما يشعُّ..

في انفراجِ باب

في وَهَج اللفافةِ الأخيرةْ

في لمعة المنافض المزوَّقهْ

في لمسات اللوحة المعلَّقهْ

في دَورِة الفَرَاشِ في السقِف..

وفي انغلاقة الكتابْ

في ذوبان الثلج في الأكوابْ

في رنَّة الملاعق الصغيرهْ

في صمتة المذياع برهةً قصيرهْ

في ثَنيَات الظِّل في الثيابْ

في غبشِ النوافذ الصامتِ..

بعد ساعة الضباب.

* * *

(.. بالريح المقهورهْ

بالأمكنةِ المهجوره

بِسِني الحبّ الغاربْ

بالقمر الشاحبْ

وبأعوامي الستة عشرْ

وبخصلة شَعْرْ:

أقسم ألا يسقط قلبي في..

شَرَكِ الهدب الأسودْ.

ألا أفتح يومًا. هذا البابَ الموصد!

ـ٣ـ

كيف ضعفتُ في نهاية المطاف؟

وارتحتُ في عينيك من عبئي؟

وكل شيءٍ حولنا يُملي علينا أن نخاف؟!

.. لكنني أنزع قلبي من نعومة البدءِ

ومن ليونة الدفء..

وأحتمي ـ كالسلحفاة ـ بالغلاف!!

فصل من قصة حب

لها حقيبةٌ مدلاّة.. وشَعْر غَجَريْ!

(عرفتُ عنها القصص الكثيره:

على أريكة القطارْ..

ضاجعها اثنان..

وخلف ساتر الغارات في الميدانِ.. في الظهيرةَ

.. وضاجَعَتها امرأةٌ على البلاج الذهبيّ

وجسمها الخارج من محارة البحرِ..

مُندًّى باللآلئ الصغيرةَ!)

* * *

حين التقينا: لم تسلْ من أنتَ..

أو من أين؟!

وقبلَتني خلسةً ونحن في المترو..

مُحاصرِيْن.. واقفيْنْ!

وقبلتني وأنا أخرج مفتاحي..

أمام غرفتي الفقيره!

وقبلتني.. حالما أغلَقَت البابَ وراء ظهرها..

لامعةَ العينين!!

* * *

لا نهدها (اليمامةُ التي تهم بانطلاقها)

ولا انحسار الثوب فوق ساقها

هو الذي حاصَرَني في الجسد ـ الجزيره

لكنه.. شيءٌ بها.. كأنه اليتمُ..

كأنه الفرارْ..

يذوب ما بين ذراعيَّ: فتهدأ السريره

وتلتوي الأناملُ البيضاء حول كَتِفي..

كأنما نحن: الغريق.. والحطام الخَشَبي!

تمسك بي..

في لحظة احتراقها..

في لحظة التخلِّي عن عناقها!

تمسك بي..

حتى مع استرخاءة النوم القصيره

إذا انفلتُّ من يديها

وهي في استغراقها!!

* * *

وصار بيتي بيتنا معًا، وصارْ..

أرجوحةً وثيرة

وصارت الألفةُ ثوبًا واحدا

نلبسه تحت جلودنا

فلا يبلى..

ولا يلحقه الغبارْ!

عاريةً ـ إلا من الحب ـ تروح وتجيء

يأتي غناؤها بصوتها الدافئ

وهي ترش الماءَ في الحمَّامِ..

أو.. جالسة على الأريكة الأثيرهُ

وهي تُسَوِّي شعرَها..

أو.. وهي عند النارْ

تُعِّد فيها قهوةَ الإفطارْ

أو.. تمنح الرونَق للأشياءِ

في لمستها الخبيره

تكوي المناديلَ الحريريَّة.. والتنُّوره

أو تمسح الغبارَ حول صوره!

* * *

وها أنا بعد رحيلها المفاجئْ

أعمى بلا بصيره

فتشتُ عنها كلَّ حانات المدينة الكبيرة

وغرفَ الطلابِ..

والمستشفياتِ..

والملاجئ..

لكنني لم أر غير الوحشة المريره

وذكرياتها المنثوره

في البيت.. في مكانها..

تنتظر اليدَ الأميرة

تنتظر الخيطَ.. الذي ينتظم اللآلىء

* * *

كأسكَ!

ـ حان موعد الإغلاقْ.

ـ لم تبق إلا قطرةٌ أخيرة:

ـ كأسكَ!

.. لن تعيدَها الأشواقْ!!

الهجرة إلى الداخل

أتركُ كلَّ شيءَ في مكانه:

الكتابَ.. والقنبلةَ الموقوتهْ

وقدحَ القهوة ساخنًا..

وصيدليةَ المنزل..

واسطونة الغناء

والبابَ.. وعينَ القطةِ الياقوته

أتركُ كل شيءٍ في مكانه..

وأعبرُ الشوارعَ الضوضاءْ

مخلِّفًا خلفي: زحامَ السوق..

والنافورةَ الحمراءَ..

والهياكلَ الصخريَّة المنحوتةْ

أخرج للصحراء!

أصبح كلبا داميَ المخالبْ

أنبش حتى أجدَ الجثةَ..

حتى أقضم الموتَ الذي يدنِّس الترائب!

أدسّ في الحفرةِ وجهي الشرهَ المحمومْ

تصبحُ بوقًا مصمتًا حول فمي المنكفئِ المزمومْ

وصارخًا في رحم الأرضِ..

أصيحُ: يا بساطَ البلدِ المهزومْ..

لاتنسحبْ من تحت أقدامي..

فتسقط الأشياءْ..

من رفها الساكن في خزانة التاريخ..

تسقط المسَمّيَات والأسماء!

أصرخ.. ليس يَصلُ الصوتُ

أصرخ.. لا يجيب إلا عَرَقُ التربةِ والسكونُ والموتُ

ويستديرُ حول رأسيَ الطنينُ..

ويدوِّم الهواء

أسقط واقفًا..

وخائفًا.

أن يحمل الصدى ندائي للهَوَائياتِ..

فوق أسطح البيوتْ

أن تُفْشي الرمالُ صوتيَ المضيءَ..

صوتيَ المكبوتْ!

أبكي إلى أن يستدير الدمع في الحفرهْ

أبكي.. إلى أن تهدأ الثورهْ

أبكي إلى ترسخ الحروفُ في ذاكرة التراب

أعود ضالاً..

أتبَعُ الأسلاكَ.. والدمَ الرُّكام..

والدمَ المنسابْ

أبحث عن مدينتي التي هجرتُها..

فلا أراها!

أبحث عن مدينتي

يا إرم العمادْ

يا إرم العمادْ

يا بلد الأوغادِ والأمجادْ

رُدِّي إليَّ: صفحة الكتابْ

وقدحَ القهوةِ.. واضطجاعتي الحميمهْ

فيرجعُ الصدى..

كأنه أسطوانةُ قديمهْ:

يا إرم العمادْ

يا إرم العمادْ

رُدِّي إليه: صهوةَ الجوادْ

وكُتُبَ السحرِ..

وبعضَ الخبزِ في زوَّادةِ السفَرْ

فقلبه الذي انشطر

يرقد فوق زهرة اللّوتسِ في المنْفَى..

يطالع المكتوبْ

منتظرا حتى يفورَ الكوبْ

في يدهِ..

يدير فوق جسمه رداءَه المقلوبْ

لكي يعود في مواسم الحصاد

أغنيةً.. أو وَرْدَهْ

للباحثين عن طريق العودهْ!

حكاية المدينة الفضية

ـ ١ ـ

كنتُ لا أحمل إلا قلمًا بين ضلوعي

كنت لا أحمل إلا.. قلمي.

في يدي: خمسُ مرايا

تعكس الضوءَ (الذي يسري إليها من دمي)

.. طارقًا بابَ المدينة:

ـ «افتحوا الباب»

فما ردَّ الحرسْ

ـ «افتحوا البابَ.. أنا أطلب ظلا..»

قيل: «كلا»

... ...

أمطري يا قبضةَ الزبْدِ التي تُدعى سُحُب

أمطري رغوتكِ الجوفاء في كوب اللهبْ

هذه الأسوار ما رقَّت لدقاتي الحزينه

وشعاعُ القبة الفضيَّة الملساء يغلي..

في مراياي الثمينه

آه لو أملك سيفًا للصراع

آه لو أملك خمسين ذراع:

لتسلمت ـ بإيماني الهرقليِّ ـ مفاتيح المدينة

آه.. لكني بلا حتى.. مؤونه!

* * *

أيها العشب الذي ينضحُ حُمَّى

إنني أَنْشُدُ في جنبيْك.. حلما

(.. واستكانت شفةُ الوهج على وجهي طويلا..)

ربما يُفتح هذا البابُ يوما

أيها العشب الذي ينضح حمّى

شمسُنا مطفأة العينين.. دَوْما!

يا طريق التلِّ (حيث القبة الملساء تبدُو..

صنمًا ضخمًا تحدى المستحيلا)

يا طريق التلِّ

مازالت على جنبيه آلافُ النفاياتِ..

لسكان القباب المصمتهْ

من قمامات البقايا الميتهْ

وزجاجات خمورٍ فارغهْ

وكلابٍ والغهْ

ورمادٍ.. وورقْ!

آه.. يا ذكرى الحنين المحترق

آه.. كم كنَّا ـ كما كنت ـ

نرشُّ النورَ والشوق النبيلا

وتهدجنا غناءً..

وتهدجنا بكاءً..

وتهدجنا.. فُضُولا

ثم.. لم نلقَ من الحبِّ عدا: بابًا بخيلا!!

ـ ٢ ـ

قرقعت في الصمت حولي عجلاتُ المركبةْ

ـ «أوقف الخيلَ»

أطلَتْ:

ـ «من تُرى أنتَ؟»

فأومأتُ مجيبا

قالت: «اصعدْ»،

ـ «آهِ يا ذات العيون الطيبةْ

كل شيء يتنهدْ

كل شيء في دمي.. لا يتحددْ

أنا لا أملك حتى كلماتِ الشكرِ..

حتى كلمات الشكرِ.. ولتْ!

ـ «أغريبٌ؟»

قلتُ: ما عدتُ غريبا

بيتنا كان على ربوة نجمةْ

كم قرأنا فيه عن سحر لياليك كثيرا

عن جبينٍ يهبُ العمرَ تناهيدَ ورحمةْ

ورسَمْنَا وجهكِ المعبودَ فوق المنزلِ

وعلى صدر الربيع المقبلِ

وتعشقناكِ: حزنًا أرجوانيًا أميرا

وتعشقناكَ: شعرًا كستنائيًا غزيرا

وتعشقناكَ: ثوبًا جَدَلتْه الحورُ..

من زهوْ المطرْ

وعشقنا فيك: حتى خُفَّكِ المجلوبَ من وادي القمر!

قالت: «اهدأ..

سوف تحكي لي هناكْ..»

وأشارت نحو قصر القبّة الملساءِ..

ثم استطردَتْ:

إنه مُلكُ أبي»!

عندما كان «سليمانُ» وليا

لم يكن يملك هذا القصرَ ذا المليون بابْ

قيل مكتوبٌ على جدرانه الماسية الزرقاءِ..

أحلامُ شبابْ

قيل في الساحة نافورةُ خلدْ

وعلى الباب نقوشٌ أثريْه

آه.. يا حراسَه.. هذا أنا!!

ارفعوا الأيدي وأدوا لي التحيّهْ

ارفعوا المزلاجَ.. فالركبُ يسيرْ

«يد مولاتي»..

ومدت يدها (بدر البدورْ)

نصعد السلم: يا معراجُ ما كنتُ نبيا!

أنا في البللّور حولي في السنا: ألفُ أنا

فامض يا معراجنا نحو الجَنَاح

واعزفي يا جوقة الميلاد لحنَ الافتتاح!

* * *

سكرتْ كاساتُنا من خمر بابل

ألف خيط في دمانا.. يستبدّْ

ـ آه يا سيدتي: أنتِ مَلَكْ..

أنا لا أحمل إلا قلبًا بين ضلوعي..

فخذيه.. إنه أثمن ما عندي.. خذيه»

ومشت راحتها فوق جبيني..

هتفت بي: «شهريار»

ـ «شهرزادي: اسكبي شَهْدَ الرحيق المتواصلْ

ثم قُصِّي من حكاياكِ الجديدةْ

من زمانٍ لم أعدْ أسمع أشياءَ جديده

اسردي..»

ـ «لبيكَ يا مولايَ.. قالوا..

... ...

ثم لم نملك قُوانا

وعلى الجدران لوحاتٌ فريدة

لرغيف.. وزجاجاتٍ من الخمرِ.. وراعٍ..

وقطيع!

(آه.. ما أقسى الجدارْ

عندما ينهض في وجهِ الشروقْ!

ربما ننفق كل العمر كي ننقب ثغرهْ

ليَمُرَّ النورُ للأجيالِ.. مرَّهْ!

... ...

ربما لو لم يكن هذا الجدارْ

ما عرفنا قيمةَ الضوءِ الطليق!!)

-٣-

شَفَةٌ ثلجية في جبهتي تسري.. مُلحَّهْ

«قد أتى الصبحُ.. فَقُمْ»

شدَّني السيافُ من أشهى حُلُمْ

حاملاً أمر الأميرة

- «أنا يا مسرورُ معشوقُ الأميرةْ

ليلةٌ واحدة تُقضى.. بدَمْ؟!

يا ترى من كان فينا شهريار؟!

أنا يا مسرور..»

(مسرورُ على الباب: رخامْ)

ـ أنا يا مسرورُ لم أسعد من الدنيا بفرحة

أنا لم أبلغ سوى عشرينَ عامْ

خذ ثيابي.. خذ مراياي المنيرهْ..»

ـ «حسنًا.. فاهربْ من الباب الذي في آخر الممشى

ولا ترجعْ هنا»

يا طريق التلِّ حيث القبةُ الملساءُ.. خلفي

حيث ما زالت على جنبيك آلافُ النفاياتِ..

لسكان المدينةْ

الكلابُ الوالغهْ

وزجاجاتُ الخمور الفارغهْ..

وأنا.. أحمل أقدامي الحزينه!!

الضحك في دقيقة الحداد!

.. ووقفنا في العراءْ

ببقايا أغمِدَهْ

انتظرنا أن يمرَّ الشعراءْ

ربما يمنَحُنا دفُ الغناءْ

ربما.. ليلةَ حبّ واحدهْ

وتنَّصتنا لوقع الخطوِ.. غرْبَلنْا الهواءْ

لم يكن إلا.. سكونُ الصحراءْ

وطنينُ الأفئده!

* * *

عامٌ تحتَ الصفر.. صِفرَ اليدِ جاءْ

حين كنا في ضمير الليل روحًا مجهدة

طَرَقَ الباب.. ونادى في حياء

فاستدرنَا في فراش النومِ..

أحَكمنا الغطاءْ

وتركناه لهبَّات الرياح البارده

* * *

كنتُ في المقهى.. وَكان الببغاء

يقرأ الأنباءَ في فئران حقل القمحِ..

فوق القرَدَه

وهي تجترُّ النراجيلَ، وترنو للنساء

... ...

(ـ رفعُ أثمان جميع الأسمدَهْ)

... ...

... النساءُ ـ القططُ ـ الأفراسُ ـ سِمَّانُ العشاء

وعيونُ الرغبة الفئرانُ تبتلُّ بأصداء المُواءْ

... ...

(ـ رفع سعر الصوفِ..)

...   . ما من فائدة!

كادت السيارةُ الحمراءُ أن تقصم ظهر السيدهْ

والنساءُ ـ القططُ ـ الأزياء يخلعن الرداء

...   .

(ـ ثائرٌ يَقْتُلُ في طهران بالأمس ـ رئيس الوزراء)

...   .

رقعة الشطرنج: مات الشاةُ.. دورُ الابتداءْ..

هزم الأبيضُ فيه أسودَه

حين كنَّا في ضمير الليل روحا مجهدهْ

...   .

تلعقُ الفئرانُ في الجُحر ترابَ الاشتهاء

وهي تجترُّ النراجيلَ.. وترنو للنساء

النساءِ.. القططِ الكسلى..

...   .

...   ... (اشتباك عسكريّ في المساءْ)

برهةً: ترتفع الأعينُ عن طاولة الزهر وموسيقى النساء
تبرقُ النظرةُ من تحت الجفون الخامده

...   .

(مجلسُ الأمن يوُالي..)

...   ... ويعود الانحناءْ

تجلس العينُ على نقش البلاطِ القرفصاءْ
ثم تنساهُ وتطويها فنونُ العربدْه!!
قال لي
«ها هو بهوُ الأعمدهْ»

...   .

من هنا مَرَّت خيولُ الخيلاءْ
من هنا مرت.. فلم يُدفن لها قتلى
ولم تُحقن دماء
حطَّت الحدأةُ فوق المائدهْ
رفع النسرُ عن الشمسِ يَدَهْ
فهوت.. والأرضُ غطَّاها الوباء

...   .

نقشةُ الجدران في قلبي..

وفي عيني الرمالُ الراقده

الرمالُ الرابضاتُ ـ اليومَ ـ من حول البناءْ

الرمال ـ الندمُ الحارقُ لي خبزٌ وماء

يا بقايا المومياءْ:

نحن أسبلنا العيونَ الرَّمِدَه

حين أنكرناكِ قبل الفجرِ..

(والفجرُ إلى اللحظة لم يأتِ)

وجاءْ..

بدلاً منه الوباء..

كلما استشرفت النظرةُ أفقَ النور: شمَّت جسدهْ

فتراخت. مقعده..

وانتظرنا الصيفَ في فصل الشتاءْ

واغتسلنا ننشُدُ البرءَ نهارَ الأربعاء

ودعونا الله أن يكشف عنا الغَّمة المنعَقده:

أعطنا ليلة حب واحده

أعطنا ليلة طهر واحده

أعطنا ليلة صدق واحده

وتنسَّمنا صدى الدعوةِ غربلنا الهواء

لم يكن إلا.. الوباء

جَرَبًا تحت الجُلودِ:

الظُّفْرُ لا يجدى..

ولا يجدي الدواء!

جَرَبٌ أوغلَ حتى الأفئده!!

* * *

ووقفنا في العراء

ببقايا أغمدةْ...

وتلفَّتنا.. فأبصرنا عظامَ الشهداء

تتلوَى في رمالِ الصحرَاء

تَقْصد النيلَ.. لكي يمنحها جرعة ماء

فَسَقاها.. كَمَدَه!

ورأينا في مرايا مائهِ أوجهنا..

كنا عراةً تعساء

خلفنا يصطكُّ بابُ المصيدَه

.. والشفاهُ المرغياتُ المزبدهْ

تتبارى في الهتافات..

تدقُّ المنضدهْ

ثم تنسلُ إذا انفضَّ البكاء

تتلهَّى بالصدور الناهدهْ

في حوانيت الشواء..

... ...

... ...

يا عصافير الشتاء:

لا تلوميني.. إذا الطوفانُ جاء

... ...

١٩٦٩

الموت في... الفراش

(بيان)

أيها السادةُ.. لم يبقَ اختيارْ

سقط المُهْرُ من الإعياءِ..

وانحلَت سيورُ العَرَبهْ

ضاقت الدائرة السوداءُ حول الرقبهْ

صدْرنا يلمسهُ السيفُ..

وفي الظهَرِ: الجدار!

... ...

أيها السادةُ: لم يبق انتظارْ

قد منعنا جزيةَ الصمتِ لمملوكٍ وعَبْدْ

وقَطَعنا شعرة الوالي «ابنِ هند»

ليس ما نخسرهُ الآنَ

سوى الرحلةِ من مقهى إلى مقهى..

ومنَ عارٍ.. لعَارْ!!

-١-

على محطات القُرى..

ترسو قطاراتُ السهادْ

فتنطوي أجنحةُ الغبار في استرخاءةِ الدُنُوْ

والنسوةُ المتشحاتُ بالسوادْ

تحت المصابيحِ.. على أرصفةِ الرسوْ

ذابت عيونُهن في التحديقِ والرنُوْ

عل وجوه الغائبين منذ أعوام الحدادْ

تشرق من دائرةِ الأحزانِ والسُلُوْ

... ...

ينظرن.. حتى تتآكلَ العيونُ

تتآكَل الليالي..

تتآكل القطاراتُ من الرواحِ والغدوْ

والغائبون في ترابِ الوطنِ ـ العدوْ

لايَرْجعون للبلادْ..

لا يخلعون معطفَ الوحشةِ عن مناكبِ الأعيادْ!

ـ ٢ ـ

نافورةُ حمراءْ

طفل يبيع الفُلَّ بين العَرَبَات

مقتولة تنتظر السيارةَ البيضاء.

كلبٌ يحكُّ أنفَه على عمود النورْ.

مقهى.. ومذياعٌ، ونَرْدٌ صاخبٌ.. وطاولات

ألويَةٌ ملوية الأعناق فوق السارياتْ.

أنديَةٌ ليليه

كتابةٌ ضوئية.

الصحفُ الداميةُ العنوانِ.. بيضُ الصفحاتْ.

حوائطٌ.. ومُلصقاتْ...

تدعو لرؤية (الأب الجالسِ فوق الشجرة)

والثورةِ المنتصرهْ!

إيقاعات:

سرحانُ يا سرحانْ

والصمتُ قد هدَّكْ

حتى متى وحدَكْ

يَخفِرُكَ السجَّان؟

... ...

نقتُلُ.. أو نُقْتَلْ

هذا الخيَارُ الصعبْ

وشلنا بالرعبْ..

تَرَدُّدُ العُزَّل

... ...

في البيت.. في الميدان

نُقْتَلُ يا سرحان!

ـ ٣ ـ

أبخرة الشاي تدور في الفناجِين.. وتشرئب

يلَتْمُّ شمل العائله

.. إلا الذي في الصحراء القاحلهْ

يرقدُ في أمعاءِ طائرٍ وذئبْ

(يهبط من صورته المقابله

يلتف حول رأسِهِ الدامي شريطُ الحزنْ

يجلسُ قربَ الركنْ

يصغي إلى ثرثرِة الأفواهِ والملاعقِ المُبتذَلَه:

ينشقُّ في وقفته.. نصفينْ

يصبُّ في منتصف الفنجانِ.. قطرتينْ

من دمه..

ينكسرُ الفنجانُ.. شظيتين)

ينكسرُ النسيان

وهو يعود باكيًا إلى إطارِ الصورةِ المُجلَّلَه

بآيةِ القرآن!

إيقاعات:

الدم قبلَ النومْ

نلبسه.. رداءً

والدم صار ماءً

يُراقُ كلَّ يومْ

... ...

الدمُ في الوسائدْ

بلونه الداكنْ

واللّبنُ الساخنْ

تبيعهُ الجرائدْ

... ...

اللَّبَنُ الفاسدْ

اللَّبَنُ الفاسدْ

اللبن الفاسدْ

يخفي الدَمَ ـ الشاهدْ

ـ ٤ ـ

«أموتُ في الفراشِ.. مثلما تموتُ العيرْ»

أموتُ. والنفيرْ

يدقُّ في دمشقْ..

أموت في الشارعِ: في العطورِ والأزياء

أموتُ والأعداءْ..

تدوسُ وجهَ الحقْ

«وما بجسمي موضع إلا وفيه طعنةُ برمحْ»

.. إلا وفيه جرُحْ..

إذَن

«فلا نامت عيونُ الجبُناء»

١٩٧٠

لا وقت للبكاء

لا وقتَ للبكاء.

فالعَلَمُ الذي تنكَسينَهُ.. على سرادقِ العزاء

مُنَكَّسٌ في الشاطئ الآخرِ

والأبناء...

يُستَشَهدونَ كي يقيموه.. على «تَبَّه»..

العَلَمُ المنسوجُ من حلاوةِ النصر ومن مرارة النكبهْ

خيطًا من الحبِّ.. وخيطين من الدماء

العَلَمُ المنسوج من خيام اللاجئين للعراء

ومن مناديلِ وداع الأمَّهاتِ للجنود:

في الشاطئ الآخرِ..

مُلقى في الثرى..

ينهشُ فيه الُّدودْ..

ينهش فيه الدودُ.. واليهودْ

فانخلعي من قلبِك المفئود

فها على أبوابكِ السبعةِ.. يا طيبَةُ..

يا طيِّبَة الأسماءْ:

يُقعي أبو الهولِ

وتقُعي أمَّةُ الأعداء

مجنونة الأنيابِ والرغبهْ..

تشربُ من دماءِ أبنائك قربةً.. قربهْ

تفَرشُ أطفالكِ في الأرض بساطًا..

للمدرَّعاتِ والأحذيةِ الصلبهَ

وأنتِ تبكين على الأبناء..

تبكين؟

يا ساقيةً دائرةً ينكسر الحنين..

في قلبها.. ونيلُك الجاري على خدِّ النجوع

مَجْرَى دموع
ضفافه: الأحزانُ والغربهْ..
تبكين؟ مَنَ تبكين؟
وأنتِ طولَ العمر ـ تَشْقَيْنَ.. وتحصدينْ..
مرارةَ الخيبهْ
وأنتِ ـ طولَ العمرِ تبقين وتنُجبينْ..
مقاتلين فمقاتلينَ.. في الحَلَبَهْ

* * *

الشمسُ (هذه التي تأتي من الشرق بلا استحياء)
كيف تُرى تَمُرُّ فوق الضفة الأخرى..
ولا تجيء مطفَأه؟
والنسمةُ التي تَمُرُّ في هُبوبها على مخيَّم الأعداء
كيف تُرى نَشُمُّها.. فلا تسدُّ الأنفَ؟
أو تحترقُ الرئهْ؟
وهذه الخرائطُ التي صارتْ بها سيناء
عبرَّيةَ الأسماء

كيف نراها.. دون أن يصيبنا العمى؟

والعارُ.. من أمَّتنا المُجَزأه؟

.. والطفلةُ الصغيرةُ العذبه

تُطلقُ ـ فوق البيت ـ «طيَّارتَها» البيضاء

كيف تُرى تكتُب في كرَّاسةِ الإنشاء

عن بيتِها المهدومِ فوق الأبِ.. واللعبهْ؟

وأُمِّيَ التي تظلُّ في فناء البيت منكَبَهْ

مقروحةَ العينين.. مسترسلة الرثاءْ

تنكثُ بالعودِ على التربة:

رأيتُها: الخنساءْ

ترثي شبابَها المستشهدين في الصحراءْ

رأيتُها: أسَمَاءْ

تبكي ابنَهاَ المقتولَ في الكعبَهْ..

رأيتُها: شجرة الدرِّ..

تردُّ خلفها البابَ على جثمانِ (نجم الدِّينْ)

تُغلقُ صدرَهَا على الطعنةِ والسكِّينْ

فالجندُ في الدِّلتا

ليس لهم أن ينظُروا إلى الوراء

أو يدفنوا الموتى

إلا صبيحةَ الغدِ المنتصرِ الميمونْ

... ...

والتينِ والزيتونْ

وطورِ سينينَ.. وهذا البلدِ المحزونْ

لقد رأيتُ يومهَا: سفائنَ الإفرنجْ

تغوص تحت الموجْ

وملكَ الإفرنج

يغوص تحت السرجْ

ورايةَ الإفرنج

تغوص.. والأقدام تَفري وجهها المُعْوَجّ

.. وها أنا ـ الآنَ ـ أرى فَي غدكِ المكنون:

صيفًا كثيفَ الوَهجْ

ومُدُنًا ترتجْ

وسفُنُنا لم تَنْجُ

ونجمةً تسقطُ ـ فوق حائط المبكى ـ

إلى التراب

ورايةَ (العُقَاب)

ساطعةً في الأوْج..)

* * *

والتينِ والزيتونْ

وطورِ سينينَ.. وهذا البلدِ المحزونْ

لقد رأيتُ ليلة الثامنِ والعشرينَ..

من سبتمبر الحزينْ:

رأيت في هتافِ شعبيِ الجريحْ

(رأيتُ خلفَ الصوره)

وجهَكِ.. يا منصوره..

وجهَ لويس التاسعِ المأسورِ فِي يَدَيْ صبيح

... ...

رأيتُ في صبيحةِ الأول من تشرينْ

جندَكِ.. يا حطَينْ

يبكون،

لا يدرونَ

أن كل واحد من الماشينَ

فيه.. صلاح الدين!

٢٨ سبتمبر ١٩٧٠

العهد الآتي

وقال الرب الإله هو ذا الإنسَان قد صار كواحد منّا، عارفًا الخير والشر.

العهد القديم

تك ٣:٢٢

مملكتي ليست من هذَا العالم. لو كَانتْ مملكتي من هذا العالم لكان خدّامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود.

العهد الجديد

يو ١٨:٣٦



صلاة

أبانا الذي فِي المَبَاحثِ. نحن رعاياكَ

باقٍ لكَ الجبروتُ

وباقٍ لنا الملكوتُ

وباقٍ لمن تَحْرُسُ الرَّهَبُوتْ

* * *

تفردتَ وحدكَ باليسر. إن اليمينَ لفي الخُسرِ

أمّا اليسارُ ففي العُسر.. إلا الذين يُمَاشونَ..

إلا الذين يعيشونَ يَحْشُونَ بالصحفِ المشتراةِ

العيونَ فَيَعشُونَ. إلا الذين يَشُونَ. وإلا

الذين يُوشُون ياقات قمصانهم برباط السكوتْ!

تعاليتَ. ماذا يهمَّك ممن يذمُّكَ؟ اليومُ يومكَ

يرقى السجينُ إلى سُدَّة العرشِ..

والعرشُ يصبح سجنًا جديدًا وأنتَ مكانكَ. قد

يتبدل رسمك واسمكَ. لكن جوهركَ الفردَ

لا يتَحوَّلُ. الصمتُ وشمكَ. والصمتُ وسمكَ

والصمتُ ـ حيث التَفَتَّ ـ يرين ويسمكُ

والصمتُ بين خيوط يديكَ المشبَّكتينِ المصُمغَتينِ يلفُ

الفراشةَ.. والعنكبوتْ

* * *

أبانا الذي في المباحثِ. كيف تموت

وأغنيةُ الثورة الأبدية

ليست تموتْ!!

سفر التكوين

(الإصحاح الأول)

في البدء كنتُ رجلاً.. وامرأةً. وشجرهْ

كنتُ أبًا. وابنًا.. وروحًا قُدُسا

كنْتُ الصباحَ.. والمسا..

والحَدْقَةَ الثابتةُ المدوَّره

* * *

وكان عرشي حجرًا على ضفاف النهر

وكانت الشياهْ..

ترعى.. وكان النحلُ حول الزَّهرْ..

يطنُّ.. والإوزُّ يطفو في بحيرِة السكونِ

والحياه..

تَنْبُضُ ـ كالطاحونةِ البعيده!

حين رأيتُ أن كل ما أراه

لا ينقذ القلبَ من المللْ

...   .

(مبَارزاتُ الديَكه

كانت هي التسلية الوحيدهْ

في جلستي الوحيده

بين غصونِ الشجرِ المشتبكهْ!)

(الإصحاح الثاني)

قلتُ لنفسي: لو نزلت الماء.. واغتسلت.. لانقسمتْ

(لو انقسمت.. لازدوجت.. وابتسمتْ)

وبعدما استحممتْ..

تَنَاسَجَ الزهرُ وشاحًا من حرارةِ الشفاهْ

لفَفْتُ فيه جسدي المصطكْ

(وكان عرشي طافيًا.. كالفُلكْ)

ورف عصفورٌ على رأسي.. وحطَّ ينفض البَلَلْ

حدَّقتُ في قرارةِ المياه

حدَّقتُ.. كان ما أراه

وجهي.. مكلّلاً بتاج الشوكْ!

(الإصحاح الثالث)

قلت: فليكن الحبُّ في الأرض.. لكنَّه لم يكُنْ!

قلتُ: فليذبِ النهرُ في البحر.. والبحرُ في السُّحْبِ..

والسُّحبُ في الجدبِ.. والجدبُ في الخصبِ ينبت

خبزًا ليسندَ قلب الجياعْ.. وعشبًا لماشيةِ

الأرض.. ظلاً لمن يتغرَّبُ في صحراء الشجن

ورأيت ابن آدم ـ ينصب أسواره حول مزرعةِ

الله، يبتاعُ من حوله حَرسًا.. ويبيع لإخوتهِ

الخبزَ والماءَ.. يحتلب البقراتِ العجافَ لتعطي اللبنْ.

قلتُ: فليكن الحبُ في الأرض.. لكن لم يكن

أصبح الحبُ ملكًا لمن يملكون الثمنْ

... ...

ورأى الربُ ذلك غيرَ حسنْ!

* * *

قلت: فليكن العدلُ في الأرض.. عينُ بعَينْ وسنُ بِسنْ

قلت: هل يأكلُ الذئب ذئبًا.. أو الشاةُ شاةً؟

ولا تضعِ السيفَ في عُنُقِ اثنين: طفلٍ.. وشيخٍ مسنْ

ورأيتُ ابن آدم يردي ابن آدمَ.. يشعلُ في

المدنِ النارَ.. يغرسُ خنجرَهُ في بطونِ الحوامل

يلُقي أصابعَ أطفالهِ عَلَفًا للخيولِ.. يَقُصُّ الشفاهَ

ورُوُدًا تُزين مائدةَ النصرِ.. وهي تَئِنْ

أصبح العدلُ موتًا.. وميزانه البندقية.. أبناؤهُ

صُلبوا في الميادينِ أو شنقوا في زوايا المدنْ

قلت: فليكن العدلُ في الأرض، لكنه لم يكنْ

أصبح العدلُ ملكًا لمن جَلَسُوا فوق عرش الجماجمِ

بالطيلَسانِ ـ الكَفَنْ

... ...

ورأى الربُّ ذلك غير حَسَنْ!

... ...

قلت: فليكن العقلُ في الأرضِ.. تُصغي إلى صوته المتَّزن

قلت: هل يبتني الطيرُ أعشاشَه في فم الأفعوانِ..

هل الدُّودُ يسكنُ في لهب النار.. والبُومُ هل

يضع الكُحْلَ في هدبِ عينيه.. هل يبذر الملحَ

من يرتجي القمح حين يدورُ الزمنْ

ورأيت ابن آدمَ وهو يُجَنُّ.. فيقتلع الشجرَ المتطاولَ..

يبصق في البئرِ.. يلقي على صفحة النهر بالزيتِ..

يسكُن في البيت.. ثم يخبِّئ في أسفل الباب قنبلة الموتِ

يُؤوي العقاربَ في دفء أضلاعه..

ويُوَرِّثُ أبناءهَ دينه.. واسمهُ.. وقميص الفتَنْ

أصبح العقلُ مغتربًا يتسوَّل.. يقذفه صِبْيَةٌ

بالحجارةِ.. يوقفُه الجندُ عند الحدود وتسحبُ

منه الحكوماتُ جنسيَّةَ الوطني.. وتُدْرِجُهُ في

قوائم من يكرهون الوطنْ

قلتُ: فليكن العقلُ في الأرض لكنةً لم يكنْ
سقط العقلُ في دورة النفي والسجن.. حتى يُجَنْ

... ...

ورأى الربُّ ذلك غيرَ حَسنْ!

(الإصحاح الرابع)

قلتُ: فلتكن الريحُ في الأرض، تكنس هذا العفنْ
قلت: فلتكن الريحُ والدمُ.. تقتلعُ الريحُ هَسْهَسةَ
الورق الذابل المُتشبِّثِ.. يندلع الدمُ حتى
الجذور فيزهرُها ويطهِّرها، ثم يصعدُ في
السُّوقِ.. والورقِ المُتشابكِ. والثمر المُتدلِّي..
فيعصرُه العاصرون نبيذًا يزغرد في كلِّ دنْ
قلت: فليكن الدم نهرًا من الشهد ينساب تحت فراديس عَدنْ
هذه الأرضُ حسناء.. زينتُها الفقراءُ.. لهم تَتَطَّيبُ..
يعطونها الَحُبَّ.. تعطيهم النسلَ والكبرياءْ
قلت: لا يسكن الأغنياءُ بها. الأغنياءُ الذين

يصوُغونَ من عَرقَ الأجراء نُقُود زنا.. ولآلئ

تاجٍ وأقراطَ عاجٍ.. ومسبحة للرياء

إنني أولُ الفقراء الذين يعيشون مُغتربينَ..

يموتون مُحتسبين لديَّ العزاءْ

قلت: فلتكن الأرضُ لي.. ولهُم!

(وأنا بينهم)

حين أخلع عني ثيابَ السماءْ

فأنا أَتَقَدَسُ ـ في صرخة الجوعِ ـ فوق الفراش الخَشِنْ!

(الإصحاح الخامس)

حَدَّقتُ في الصخر.. وفي اليَنْبُوعْ

رأيتُ وجهي في سِمات الجوُعْ!

حدَّقت في جَبينَي المقَلْوُبْ

رَأيتُني: الصليب والمصلوبْ

صرختُ ـ كنت خارجًا من رَحِمِ الهناءهْ

صرختُ.. أطلبُ البراءه

كَينُونَتي: مشنقتي
وحَبْلي السُّريُّ:
حَبْلُها
المقطوعْ!

سفر الخروج
(أغنية الكعكة الحجرية)

(الإصحاح الأول)

أيها الواقفون على حافَّة المذبحةْ

أشْهروُا الأسلحه!

سقطَ الموتُ.. وانفَرَطَ القلبُ كالمسبحةْ

والدمُ انسابَ فوق الوشاح!

المنازلُ أضرْحَةٌ

والزنازن أضرحةٌ

والمَدَى.. أضرْحةْ

فارفعوا الأسلحه

واتبعونُي!

أنا نَدَمُ الغِد والبارحه

رايتي: عظمَتَان.. وجُمْجُمَه..

وشعاري: الصباح!

(الإصحاح الثاني)

دَقَّت الساعةُ الُمتعَبَهْ

رفعت أمه الطيبِّه

عَيْنَها..

(دَفَعَتْهُ كُعُوبُ البنادقِ في المركبه!)

... ...

دقت الساعةُ المُتعبه

نهضتْ.. نسقت مكتبه..

(صفعته يَدٌ..

ـ أدخلته يدُ الله في التجربه ـ)

... ...

دقت الساعةُ المتعبه

جلست أمُّه.. رتَقَتْ جَوْرَبَهْ..

ـ(وخَزَتْهُ عيونُ المحقِّق..

حتى تَفَجَّرَ من جلده الدمُ والأجوبه!)

... ...

دقت الساعةُ المتعبهْ!

دقت الساعةُ المتعبهْ!

(الإصحاح الثالث)

عندما تهبطين على ساحةِ القوم لاتَبْدئي بالسلامْ

فهمُ الآنَ يَقْتَسمُون صغاركِ فوق صحَاف الطعامْ

بعد أن أشعلوا النارَ في العُشِّ..

والقَشِّ..

والسنبله.

وغدًا يذبحونك.. بحثًا عن الكنز في الْحَوْصَله!

وغدًا تَغْتَدي مُدُن الألفِ عامْ

مدنًا.. للخيامْ

مدنًا ترتقي دَرَج المقصله!

(الإصحاح الرابع)

دقت الساعةُ القاسيهْ

وقفوا في ميادينها الجَهْمَة الخاويهْ

واستداروا على درجاتِ النصبْ

شجرًا من لَهَبْ

تعصف الريحُ بين وُرَيقاته الغضة الدانية

فَيَئِن: «بلادي.. بلادي»

(بلادي البعيدة!)

... ...

دقت الساعةُ القاسيهْ

«انظروا» هتفت غانيهْ

تتمطى بسيارة الرقم الجُمْرُكي..

وتمتمت الثانيه:

سوف ينصرفون إذا البرْدُ حَلَّ.. وَرَانَ التعبْ

... ...

دقت الساعةُ القاسيه

كان مذياعُ مقهى يذيع أحاديثهَ الباليهْ

عن دُعاة الشغب

وهم يستديرون

يشتغلون ـ على الكعكةِ الحَجَريَّة ـ حول النُّصبْ

شمعدانَ غَضبْ

يتوهجُ في الليلِ

والصوتُ يكتسحُ العتمةَ الباقيهْ

يَتَغَنى لليلةِ ميلادِ مصرَ الجديدة!

(الإصحاح الخامس)

اذكريني!

فقد لوَّثتني العناوينُ في الصحفِ الخائنةْ!

لَوَّنَتني.. لأنِّي منذ الهزيمةِ لا لون لي

(غير لون الضياع)

قبلَها.. كنت أقرأ في صفحةِ الرملِ

والرملُ أصبح كالعُمْلة الصعبةِ

الرملُ أصبح أبْسَطة.. تحت أقدام جيش الدفاع)

فاذكريني، كما تذكرين المُهَرِّبَ.. والمطربَ العاطفي..

وكَابَ العقيدِ.. وزينة رأسِ السنةْ

اذكريني إذا نسيتني شُهُودُ العيانِ

ومَضْبَطَةُ البرلمانِ

وقائمةُ التُّهم المعُلنهْ

والوداع!

الوداع!

(الإصحاح السادس)

دقت الساعةُ الخامسة

ظَهَر الجندُ دائرة من دروعٍ وخوذات حربْ

ها همُ الآن يقتربون رويدًا.. رويدًا..

يجيئون من كل صَوبْ

والمُغَنُّون ـ في الكعكة الحجرية ـ ينقبضُونَ

وينفرجونَ

كنبضةِ قَلبْ!

يشُعلون الخناجرَ..

يستدفئون من البرد والظلمةِ القارسه

يرفعُون الأناشيد في أوجه الحرس المقترب

يشبكون أياديهمُ الغَضَّة البائسه

لتصير سياجًا يصُدُّ الرصاصَ!

الرصاصَ..

الرصاصَ..

وآه..

يغنون: «نحن فداؤك يا مصرُ»

«نحن فداؤُ...»

وتسقط حنجرة مُخْرسهْ

معها يسقطُ اسمكِ يا مصرُ في الأرضِ

لايَتبَقَّى سوى الجسد المتهشِّمِ والصرخاتِ

على الساحة الدامسهْ

دقت الساعة الخامسهْ

... ...

دقت الخامسة

... ...

دقت الخامسة

وتفَرَّقَ ماؤكَ ـ يا نهرُ ـ حين بَلَغتَ المَصبْ!

* * *

المنازل أضرحةٌ.. والزنازن

أضرحةٌ.. والمدى أضرحهْ

فارفعوا الأسلحه!

ارفعوا

الأسلحه

سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس
(بكائيات)

(الإصحاح الأول)

عائدون.. وأصغرُ إخوتهم (ذو العيون الحزينة)

يتقلَّب في الجُبِّ..

أجمل إخوتهم.. لا يعود!

وعجوزٌ هي القدسُ (يشتعل الرأس شيبًا)

تشم القميص فَتَبيَضُّ أعينها بالبكاء..

ولا تخلع الثوب حتى يجيء لها نبأ عن فتاها البعيد

أرضُ كنعان ـ إن لم تكن أنت فيها ـ مراعٍ من الشوكِ

يُورثها الله من شاءَ من أممٍ..

فالذي يحرس الأرض ليس الصيارف

إن الذي يحرس الأرض ربُّ الجنود
آه من في غدٍ سوف يرفع هَامتهُ
غير من طأطأوا حين أزَّ الرصاصُ؟
ومن سوف يخطبُ ـ في ساحة الشهداءِ ـ
سوى الجبناءِ؟
ومن سوف يُغوي الأرامل إلا الذي
سيؤول إليه خراجُ المدينة؟!!

(الإصحاح الثاني)
أرشق في الحائط حد المطواه
والموت يهبُّ من الصحفِ الملقاه
أتجزأ في المرآه
يصفعني وجهي المَتخَفي تحت قناع النفط
«من يجرؤ أن يضع الجَرَس الأوَل في عُنقِ القط؟»

(الإصحاح الثالث)
منظرٌ جانبيٌّ لفيروز

(وهي تطلُّ على البحرِ من شرفة الفجر)

لبنان فوقَ الخريطة

منظر جانبيٌّ لفيروز..

والبندقيةُ تدخلُ كل بيوت الجنوب

مطرُ النارِ يهطلُ.. يثقب قلبًا.. فقلبًا

ويتركُ فوق الخريطةِ ثقبًا.. فثقبًا

وفيروزُ في أغنياتِ الرعاةِ البسيطةْ

تستعيد المراثي لمن سقطوا في الحروبْ

تستعيد الجنوب!

(الإصحاح الرابع)

البسمةُ حلمْ

والشمسُ هي الدينارُ الزائفْ

في طبق اليومْ

(من يمسح عني عَرَقِي في هذا اليوم الصائفْ)

والظلُّ الخائفْ

يَتَمَدَّدُ من تحتي..

يفصل بين الأرضِ.. وبيني!

وتضاءلتُ كحرف ماتَ بأرضِ الخوف

(حاءْ.. باءْ)

(حاءٌ.. راءٌ.. ياءٌ.. هاءٌ)

الحرفُ: السيفُ

مازلت أرودُ بلاد اللَّونِ الداكنْ

أبحث عنه بين الأحياء الموتى والموتى الأحياءْ

حتى يرتدَّ النبضُ إلى القلب الساكنْ

لكنْ!!

(الإصحاح الخامس)

منظرٌ جانبي لعمانَ عام البكاءْ

والحوائطُ مرشوشةٌ ببقايا دمٍ لعقته الكلابْ

ونهودُ الصبايا مصابيحُ مطفأة فوق أعمدة الكهرباء

منظرٌ جانبي لعمَّان..

والحرسُ الملكيُّ يفتِّش ثوب الخليفةِ

وهو يسير إلى «إيلياء»

وتغيبُ البيوتُ وراء الدخانُ

وتغيبُ عيونُ الضحايا وراء النجومِ الصغيرةِ

في العلم الأجنبيِّ..

ويعلوا وراءَ نوافذ «بيسانَ» عزفُ البيانْ

(الإصحاح السادس)

اشتري في المساء

قهوةَ وشطيرة

واشتري شمعتين. وغَدَّارةً.. وذخيرة

وزجاجةَ ماءْ

... ...

عندما أطلقَ النار كانت يدُ القدس فوق الزنادْ

(ويدُ الله تخلعُ عن جسد القدس ثوب الحداد)

ليس من أجل أن يتفجَّر نفطُ الجزيره

ليس من أجل أن يتفاوضَ مَنْ يتفاوضُ
من حول مائدة مستديره
ليس من أجل أن يأكلَ السادة الكستناء

(الإصحاح السابع)
ليغفر الرصاصُ من ذنبكَ ما تأخَّر
ليغفر الرصاصُ.. يا كيسنْجَرْ!!

سفر ألف دالّ

(الإصحاح الأول)

القطاراتُ ترحلُ فوق قضيبين: ما كانَ ـ ما سيكون!

والسماءُ رمادٌ.. به صنع الموتُ قهوتهُ..

ثم ذَرَّاه كي تَتَنَشَّقَه الكائناتُ

فينسل بين الشرايين والأفئده

كل شيءٍ ـ خلال الزجاج ـ يَفرُّ:

رذاذُ الغبارِ على بقعة الضوءِ

أغنيةُ الريحِ..

قَنْطرةُ النهرِ..

سربُ العصافيرِ والأعمدهْ

كل شيءٍ يَفِرُّ..

فلا الماءُ تمسكه اليدُ..

والحُلْمُ لا يتبقَّى على شرفات العيونْ

... ...

والقطاراتُ ترحلُ.. والراحلونْ

يصِلُون... ولا يَصلُونْ!

(الإصحاح الثاني)

سنترال

أعط للفتياتِ

(اللواتي يَنَمْنَ إلى جانب الآلة الباردةِ

شاردات الخيال)

رقمي ـ رقم الموتِ ـ حتى أجيءَ إلى العُرسِ

ذي الليلة الواحده!

أعطِهِ للرجال...

عندما يلثمون حبيباتهم في الصباحِ..

ويرتحَلون إلى جبهاتِ القتالْ!

(الإصحاح الثالث)

الشهورُ زُهُورٌ على حافَّة القلبِ تنمو

وتُحرقها الشمسُ ذاتُ العيون الشتائية المطفأة

زهرةٌ في إناءْ

تتوهَّج في أوَّلِ الحبِّ بيني وبينكِ

تصبح طفلاً.. وأرجوحة.. وامرأه

زهرةٌ في الرداء

تتفتَّح أوراقها في حياءْ

عندما نتخاصَرُ في المشية الهادئه

زهرة من غناء

تتورد فوق كمنجاتِ صوتكِ

حين تفاجئكِ القبلةُ الدافئه

زهرةٌ من بكاء

تتجمَّدُ فوق شجيرة عينيكِ في لحظات الشجار الصغيرة

... ...

زهرةٌ فوق قبر صغيرْ
تنحني وأنا أتحاشى التطلعَ نحوكِ..
في لحظات الوداع الأخير
تتعرَّى.. وتلتفُّ بالدمع في كل ليل إذا الصمتُ جاءْ
لم يَعُدْ غيرُها من زهور المساء
هذه الزهرةُ ـ اللؤلؤه!

(الإصحاح الرابع)

تحبل الفتياتْ
في زيارات أعمامهن إلى العائلهْ
ثمَّ يجهضهن الزحامُ على سُلَّم «الحافلهْ»
وترام الضجيج!

* * *

تذهبُ السيداتُ

لِيُعَالِجْنَ أسنانهنَّ فيُؤمِنَّ بالوحدة الشامله!

ويُجِدنَ الهوى بلسان «الخليج»؟

* * *

يا أبانا الذي صار في الصيدليّات والعُلب العازله

نَجِّنَا من يد (القَابله)

نَجِّنَا.. حين نَقضم ـ في جنَّة البؤسِ ـ تفَّاحةَ العربات

وثيابَ الخروجْ!!

(الإصحاح الخامس)

تصرخين.. وتخترقين صفوفَ الجنودْ

نتعانق في اللحظات الأخيره..

في الدرجاتِ الأخيرِة.. من سلَّم المقصله

أتحسَّسُ وجهكِ!

(هل أنت طفلتيَ المستحيلةُ أم أمِّيَ الأرملهْ؟!)

أتحسَّسُ وجهكِ

(لم أكُ أعمى..

ولكنهم أرفقوا مقلتي ويدي بمَلَف اعترافي

لتنظره السلُطاتُ..

فتعرفَ أنِّيَ راجعتهُ كلْمةً.. كلمةً..

ثم وَقَعْتُهُ بيدي..

ربما دس هذا المحقِّق لي جملةً تنتهي بي

إلى الموت!

لكنهم وعدوا أن يعيدوا إليَّ يديَّ وعينيَّ بعد

انتهاء المحاكمة العادلْه!)

زمن الموت لا ينتهي يا ابنتي الثاكلهْ

وأنا لستُ أوَّلَ من نبَّأ الناسَ عن زمن الزلزلهْ

وأنا لستُ أول من قال فِي السوقِ:

إن الحمامة ـ في العُشِّ ـ تحتضن القنبلهْ!

قَبِّليني لأنقلَ سرِّي إلى شفتيكِ..

لأنقل شوقي الوحيد

لكِ.. للسنبله

للزهور التي تَتَبْرعمُ في السنة المقبله

قبِّليني.. ولا تدمعي!

سُحُبُ الدمع تحجبني عن عيونك..

في هذه اللحظة المثقله

كثرت بيننا السُّتَرُ الفاصله

لاتُضيفي إليها ستارًا جديد!

(الإصحاح السادس)

كان يجلسُ في هذه الزاويهْ

كان يكتب.. والمرأة العاريه

تتجوَّل بين الموائد.. تعرض فتنتهَا بالثمن

عندما سألتهُ عن الحربِ.. قال لها..

لا تخافي على الثروةِ الغاليه

فعدوُّ الوطن

مثلنا يختتنْ

مثلنا.. يعشق السِّلَعَ الأجنبيَّةَ..

يكره لحمَ الخنازير..

يدفعُ للبندقية.. والغانيه

.. فبكتْ!

... ...

كان يجلس في هذه الزاويه

عندما مرَّت المرأةُ العاريه

ودعاها.. فقالت له إنها لن تُطيل القُعودْ

فهي منذ الصباح تُفتشُ مستشفياتِ الجنود

عن أخيها المحاصر في الضفة الثانيه

عادت الأرضُ.. لكنَّه لا يعود

وحكت كيف تحتملُ العبء طيلة غربته القاسيهْ

وحكت كيف تلبس ـ حين يجيء ـ ملابسها الضافيهْ

وأرَتْهُ له صورةً بين أطفاله.. ذات عيد

.. وبكت!!

(الإصحاح السابع)

أشعر الآن أني وحيدُ..

وأن المدينةَ في الليلِ..

(أشباحَها وبناياتها الشاهقه)

سفنٌ غارقه

نهبتها قراصنةُ الموتِ ثم رمتها إلى القاعِ منذ سنين

أسند الرأسَ ربَّانُها فوق حافتها..

وزجاجة خمر محطمةٌ تحت أقدامِهِ

وبقايا وسامٍ ثمين

وتشبَّث بحَّارةُ الأمسِ فيها بأعمدةِ الصمتِ في الأروقه

يتسلَّل من بين أسمالهم سمكُ الذكرياتِ الحزينْ

وخناجرُ صامتةٌ

وطحالبُ نابتةٌ..

وسلال من القطط النافقه

ليس ما ينبض الآن بالروح في ذلك العالم المستكينْ

غير ما ينشر الموجُ من عَلَمٍ.. كان في هبة الريحِ

والآن يفرك كفَّيْه في هذه الرقعة الضيقة

سيظلُّ على السارياتِ الكسيرة يخفقُ..

حتى يذوبَ.. رويدًا.. رويدًا..

ويصدأ فيه الحنين

دون أن يلثمَ الريح ثانيةً.. أو يرى الأرضَ..

أو يتنهَّد.. من شمسها المحرقه!

(الإصحاح الثامن)

آه.. سيدتي المسبلهْ

آه.. سيدة الصمت واللفتات الودودْ

لم يكن داخلَ الشقَّة المقفلَه

غير قطٍ وحيدْ

حين عادت من السوق تحمل سلَّتها المثقله

عرفت أن ساعي البريدْ

مَرَّ..

(في فتحِة البابِ كان الخطابُ

طريحًا..

ككابِ الشهيدْ!)

قفز القطُ في الولوله

قفزت من شبابيك جيرانها الأسئله

...   .

...   .

آه.. سيدةَ الصمتِ والكلمات الشَّرُودْ

آه.. أيتها الأرمله!

(الإصحاح التاسع)

دائما.. حين أمشي.. أرى السُّترةَ القرمزيَّة

بين الزحام

وأرى شعركِ المتهدِّل فوق الكتف

وأرى وجهك المتبدِّل.. فوق مرايا الحوانيتِ..

في الصُّور الجانبيَّةِ..

في نظرات البنات الوحيداتِ..

في لمعان خدود المحبين عند حلول الظلام

دائمًا أتحسَّسُ ملمسَ كفِّكِ في كلِّ كفْ

المقاهي التي وهبتْنا الشرابَ..

الزوايا التي لا يرانا بها الناسُ..

تلك الليالي التي كان شعركِ يبتلُّ فيها..

فتختبئين بصدري من المطر العصبي

الهدايا التي نتشاجر من أجلها..

حلقات الدخان التي تتجمَّعُ في لحظات الخصام

دائمًا أنت في المنتصفْ!

أنت بيني وبين كتابي..

وبيني وبين فراشي

وبيني وبين هدوئي..

وبيني وبين الكلام

ذكرياتُك سجني.. وصوتك يجْلدُني

ودمي قطرةٌ ـ بين عينيكِ ـ ليست تجفْ!

فامنحنيني السلام!

امنحيني السلام!

(الإصحاح العاشر)

الشوارعُ في آخر الليل.. آه

أراملُ متشحاتٌ يُنَهْنِهْنَ في عتبات القبور ـ

البيوت قطرةً.. قطرةً تتساقط أدمُعُهنَّ مصابيحَ ذابلة

تتشبث في وجنة الليل ثم... تموت!

... ...

الشوارع في آخر الليل.. آه

خيوطٌ من العنكبوتْ

والمصابيحُ ـ تلك الفراشاتُ ـ عالقةٌ في مخالبها

تتلوى.. فتعصرها.. ثم تَنْحلُّ شيئًا. فشيئًا

فتمتصُّ من دمها قطرةً... قطرةً..

فالمصابيح قوتْ!

... ...

الشوارع في آخر الليل.. آه

أفاعٍ تنام على راحة القمر الأبديِّ الصمُوتْ

لَمَعَانُ الجلود المفضَّضة المستطيلة يغدو مصابيحَ

مسمومَة الضوءِ يغفو بداخلها الموتُ..

حتى إذا غرب القمرُ: انطفأت

وغَلى في شرايينها السُّم

تنزفُه قطرةً.. قطرة.. في السكون المميتْ!

... ...

... ...

وأنا كنتُ بين الشوارعِ وحدي

وبين المصابيح وحدي!

أتصبب بالحزن بين قميصي وجلدي

قطرةٌ.. قطرةٌ.. كان حبي يموتْ

وأنا خارجٌ من فراديسه..

دون وَرْقَةِ توتْ!!

مــــزاميــــــر

المزمور الأول

أعشقُ إسكندريةَ..

وإسكندريةُ تعشقَ رائحة البحرِ

والبحرُ يعشق فاتنةً في الضفاف البعيده!

* * *

كل أمسية.. تتسلل من جانبي

تتجرَّد من كلِّ أثوابها

وتحلُ غدائرها

ثم تخرج عارية في الشوارع تحت المطرْ!

فإذا اقتربت من سرير التنهُّدِ والزُّرقةِ

انطرحت في ملاءاته الرغويةِ..

وانفتحت.. تنتظر!

وتظل إلى الفجر..

ممدودة ـ كالنداءِ

ومشدودةً ـ كالوترْ

...   .

وتظلُّ وحيدهْ!!

المزمور الثاني

قلتُ لها في الليلة الماطرهْ:

البحرُ عنكبوتْ

وأنت ـ في شراكه ـ فراشةٌ تموت

وانتفضتْ كالقطة النافرهْ

وانتصبتْ في خفقان الريح والأمواجْ

(ثديان من زجاج

وجسدٌ من عاج)

وانفلتتْ مبحرة في رحلة المجهولِ.. فوق الزَّبَد المُهتاجْ
ناديتُ.. ما ردَّتْ!
صرختُ.. ما ارتدَّت!
وظلَّ صوتي يتلاشى.. في تلاشيها..
وراء الموجة الكاسره

... ...

(خاسرةٌ.. خاسرهْ
إن تنظري في عَيْنَي الغريمة الساحره
أو ترفعي عينيكِ نحو الماسةِ التي تزينُ التاجْ!)

المزمور الثالث

لفظَ البحرُ أعضاءها في صباحٍ أليم
فرأيتُ الكلومْ
ورأيتْ أظافرها الدمويَّه
تتلوَّى على خصلةٍ «ذهبيه»
فحَشَوْتُ جراحاتها بالرمالِ..

وأدفأتها بنبيذ الكرومْ

...   .

وتعيشُ معي الآنَ!

ما بيننا حائطٌ من وجومْ!

بيننا نسماتُ «الغريمْ»!

كل أمسيهٍ..

تتسلل في ساعة المَد.. في الساعة القمريَّه

تستريح على صخرة الأبديَّه

تتسمَّع سخريَّة الموج من تحت أقدامها

وصفير البواخر.. راحلة في السَّواد الحميم

تتصاعد من شفتيها المُملَّحَتَين رياحُ السمومْ

تتساقط أدمعها في سهومْ

والنجومُ

(الغريقة في القاع)

تصعدُ.. واحدةً.. بعد أخرى..

فتلتقطها

وتَعُدُّ النجومْ

في انتظار الحبيب القديمْ!

المزمور الرابع

(ترنيمة لشهر يناير)

فجأةً.. يَجفُلُ خطوُ القلبِ..

تهتزُّ الكُرياتُ الرصاصيةُ في سلَّتهِ!

(هل إصبعُ الوحدةِ أم إصبعك المصبوغ بالحنّاءِ؟)

في الخارج أسوارٌ وأمطارٌ..

غلافُ الليل ينشقُّ عن الرعدِ

غلاف القلب ينشقُّ عن الوجدِ

مساحاتٌ من الضوء الرماديِّ

أنا النافذة المغلقةُ السوداء

والتفاحةُ الحمراءُ

والأسماءُ

(اسمي كان مكتوبًا على طرف قميصي

قبل أن يَعْلَق في سلك الحدودِ الشائكِ)

النهرُ ضميري (ولعينيك انسيابُ النهرِ)

ما أقسى انتظاري!

وفؤادي ساعةٌ رمليةٌ صفراء

يَهْوِي الرملُ في أعماقها شيئًا فشيئًا

ربما للرَملِ طعمُ الملح أحيانًا.. وطعم الانتظار!!

المزمور الخامس

كان فستانُك في الصيف من الكتّانِ..

والزهرة في صدرك بيضاء..

ولكن الشتاءَ الآن يكسوك بلون السلِّ والنرجس!

(حتى ورقة التُّوتِ على فخذيك.. صفراءُ!)

هل الماءُ يغيضُ الآن في البئرِ؟

هل الماءُ يفيضُ الآن في البئرِ؟

أماءٌ؟ أم دَمٌ؟

(هذا الندى القاتلُ ذو الوجهينِ)

كان النايُ يمتدُّ من الضفَّة للضفة

من صدري إلى صدركِ

كان النايُ ممتدا

ولونُ الليل بين البرتقالي ـ الرمادي ـ السَّماوي

وفي شعرِك غاباتُ من الوحشة والصمتِ..

هوى نجمٌ.. وفي الثانية التالية اصطكّت يدي

في الشبح العابر

(هل كانت يدي في يدكِ اليسرى؟)

وفي الثانية الثانية اصْطَكَّتْ يدي في كلمة السجن

على وجه الجدار!!

المزمور السادس

نحنُ صوتان..

(إذن فالصوتُ قد أصبح صوتينِ)

تنزَّهنا على خطٍّ استواء الموتِ

لَملَمنا البنفسجْ

وتسلَّقَنا شعاع الزهو.. خَلخلنا مزاليج البيوتْ

وقدحنا حجر الحُب.. جلسنا نتوهَّج

فاحلفي باسمي.. وباسم العنكبوتْ

باسم نقش الذكريات المتُعرِّج

وركام الذكريات المتدرج

إنها ورقُة توتْ

سقطت عن عورةِ الصيفِ..

وظلت تتدحرج

فوقفنا نتفرَّج

(دون أن نطرُفَ) حتى سقطت في النهرِ..

وارتد السكوتْ!

المزمور السابع

جاء الأناسُ الميتونَ يحملونْ

أكفانهم.. أطيارهم ليست إلى أعناقهم.

يستفسرون

«ماذا أتى بنا هنا؟!!»

أتت بكم امرأةٌ خاطئةٌ

نهودُها دافئةٌ

ولحمها مُعطر النكْههْ

قد استدرات في فراشها برهه

عانقت الجدارَ.. قبلت وجهه

(يا أيها الجدار.. لاتُبحْ بما ترى

ولا تَقُلْ عن الذين يولدون)

وغمغم الجدارُ..

يا صديقتي الطفله

مات الذين يسألون!

... ...

ومرت الليلة

فربما كان أباكم الجدار

ربما يكون

المزمور الثامن

(شجوية)

لماذا يتابعني أينما سرتُ صوتُ الكَمَانْ؟

أسافِرُ في القاطرات العتيقةِ..
(كي أتحدَّث للغرباء المُسنِّينَ)
أرفع صوتي ليطغى على ضجة العجلاتِ
وأغفو على نبضاتِ القطارِ الحديديةِ القلبِ
(تهدر مثل الطواحينِ)
لكنها بغتة.. تتباعدُ شيئًا فشيئًا
ويصحوا نداءُ الكمان!

* * *

أسيرُ مع الناس في المهرجانات
أصغي لبوقِ الجنودِ النحاسيِّ
يملأ حلقي غبار النشيد الحماسي
لكنني فجأةً.. لا أرى!
فجأة تتلاشى الصفوفُ أمامي
وينسربُ الصوت مبتعدًا
ورويدًا.. رويدًا يعود إلى القلبِ صوتُ الكمانْ..!
لماذا إذا ما تهيَّأتُ للنوم يأتي الكمان..
فأصغي له آتيًا من مكان بعيد

فتصمت همهمةُ الريح خلف الشبابِيكِ..
نبضُ الوسادةِ في أذني
تتراجعُ دقاتُ قلبي..
وأرحل في مدن لم أزرْها
شوارعُها فضةٌ
وبناياتُها: من خيوط الأشعَّةِ
ألقى التي واعدتني على ضفَّة النهرِ واقفة!
وعلى كتفيها يحطُّ اليمامُ الغريبُ
ومن راحتيها يغط الحنانْ!

* * *

أحبُّكِ صار الكمانُ كعوبَ بنادقْ!
وصار يمامُ الحدائقْ
قنابلَ تسقط في كل آنْ
... ...
وغَابَ الكمان!

من أوراق «أبو نواس»

(الورقة الأولى)

«ملكٌ أم كتابهْ؟»

صاحَ بي صاحبي.. وهو يلُقي بدرهمهِ في الهواءْ

ثم يَلْقُفُهُ..

(خارجيْن من الدرس كُنّا.. وحبْرُ الطفولةِ فوق الرداءْ

والعصافيرُ تمرقُ عبرَ البيوتِ..

وتهبط فوق النخيلِ البعيدْ!)

... ...

«ملكٌ أم كتابه؟»

صاح بي.. فانتبهتُ.. ورفَّتْ ذُبابه

حول عينين لامعتْينِ..

فقلتُ: «الكتابه»

.. فَتَحَ اليدَ مبتسما.. كان وجهُ المليكِ السعيدْ

باسمًا في مهابه!

* * *

«ملكٌ أم كتابه؟»

صحتُ فيه بدوري..

فرفرف في مقلتيه الصبا والنجابه

وأجابَ: الملكْ»

(دون أن يتلعثمَ.. أو يرتبكْ)

وفتحتُ يدي..

كان نقشُ الكتابه

بارزًا في صلابه!

دارت الأرضُ دورتها..

حملتنا الشواديفُ من هدأة النهر

ألقت بنا في جداولِ أرض الغرابه

نتفرق بين حقول الأسى.. وحقولِ الصبابه

قطرتين.. التقينا على سُلَّم القصرِ..

ذاتَ مساءٍ وحيدْ

كنتُ فيه: نديم الرشيد

بينما صاحبي.. يتولى الحجابه!!

(الورقة الثانية)

من يملكُ العملةَ يمُسكُ بالوجهين

والفقراءُ بَيْنَ بيْنْ!

(الورقة الثالثة)

نائمًا كنتُ جانبه.. وسمعتُ الحرسْ

يوقظون أبي!

ـ خارجيٌّ

ـ أنا..؟!

ـ مارقٌ

ـ مَنْ؟ أنا!

صرخَ الطفلُ في صدر أمّي

(وأمّي محلولةُ الشعر واقفةٌ في ملابسها المنزليه)

ـ اخرسوا

واختبأنا وراءَ الجدارِ

ـ اخرسوا

وتسللَ في الحلق خيطٌ من الدمِ

كان أبي يمسكُ الجرحَ..

يمسكُ قامته.. ومَهَابَتهَ العائليَّه!

ـ يا أبي

ـ اخرسوا

وتواريت في ثوب أمِّيَ.. والطفلُ في صدرها ما نَبَسْ

ومضوا بأبي

تاركين لنا اليتم متشحًا بالخرسْ

(الورقة الرابعة)

أيها الشعرُ.. يا أيها الفرح المُختَلَسْ!!

... ...

كل ما كنتُ أكتبُ في هذه الصفحة الوَرَقيَّة
صادرته العسسْ؟؟

... ...

(الورقة الخامسة)

.. وأمي خادمةٌ فارسية
يَتَنَاقَلُ سادتُها قهوةَ الجنسِ وهي تدير الحطبْ
يتبادل سادتُها النظرات لأردافها..
عندما تَنْحني لتُضيء اللهب
يتندر سادتها الطيبون
بلهجتها الأعجميه!

... ...

نائمًا كنت جانبها ورأيت ملاك القُدُس
ينحني ويربت وجنتها
وتراخى الذراعان عِني قليلا قليلا
وسارت بقلبي قشعريرة الصمتِ
ـ أمي وعاد لي الصوتُ

ـ أمي وجاوبني الموتُ
ـ أمي.. وعانقتها وبكيتُ
وغام بي الدمع حتى احتبسْ؟

(الورقة السادسة)

لا تسألني إن كان القُرآنْ
مخلوقًا أو أزلي
بل سَلْني إن كان السلطانْ
لصًا.. أو نصفَ نبي!!

(الورقة السابعة)

كنتُ في كربلاءْ
قال ليَ الشيخُ: إن الحسينْ
ماتَ من أجلِ جرعةٍ ماءْ
... ...
وتساءلتُ كيف السيوفُ استباحت بني الأكرمينْ
فأجابَ الذي بصَّرتهُ السماءْ

إنه الذهبُ المتلألئُ في كلِّ عينْ

... ...

إن تكن كلماتُ الحسينْ

وسيوفُ الحسينْ

وجلالُ الحسينْ

سَقَطَتْ دون أن تُنقذ الحق من ذهبِ الأمراءْ

أفتقدر أن تنقذ الحق ثرثرةُ الشعراء؟!

والفراتُ لسانٌ من الدم لا يجدُ الشفتين!!

* * *

ماتَ من أجل جرعةِ ماءْ

فاسقني يا غلامُ صباح مساءْ

اسقني يا غلام..

علني بالمُدام..

أتناسى الدماء!

رسوم في بهو عربي

ـ ١ ـ

اللَّوحةُ الأولى على الجدار:

ليلى «الدمشقيَّه»

من شرفةِ «الحمراء» ترنو لمغيبِ الشمس..

ترنو للخيوطِ البُرتقاليَّه

وكرمةٌ أندلسيَّةٌ وفسقيَّه

... ...

وطبقاتُ الصمتِ والغبار!

نقش

(مولاي.. لا غالبَ إلا الله!)

ـ٢ـ

اللوحةُ الأخرى.. بلا إطارْ:

للمسجد الأقصى.. (وكان قبلَ أن يحترقَ الرُّواقْ)

وقبة الصخرِة.. والبُراقْ

وآيةٍ تآكلت حروفُها الصغار

نقش

(مولاي.. لا غالبَ إلا.. النّار!)

ـ٣ـ

اللوحةُ الداميةُ الخطوطِ.. والواهيةُ الخيوطْ

لعاشقٍ محترق الأجفانْ

كان اسمهُ «سَرْحان»

يمسكُ بندقيةً.. على شَفَا السُّقوط

نقش

(بيني وبين الناس تلكَ «الشَّعْرة»

لكن من يقبضُ فوق الثورة

يقبض فوق الجمرة)

- ٤ -

اللوحةُ الأخيرة

خريطةٌ مبتورةُ الأجزاء

كان اسمُها «سيناء»

ولطخةٌ سوداءْ

تملأ كل الصورة

نقش

(الناسُ سواسيةٌ ـ في الذلِّ ـ كأسنانِ المشْطْ

ينكسرون ـ كأسنانِ المشط

في لحيةِ شيخِ النفطْ!)

* * *

كتابة في دفتر الاستقبال:

لا تسألي النيلَ أن يعُطي وأن يَلدَا

لا تسألي... أبدا

إنّي لأفتحُ عيني (حين افتحها)

على كثيرٍ.. ولكنْ لا أرى أحدا!!

خاتمة

آه... من يُوقفُ في رأسي الطواحينَ؟

ومن ينزعُ من قلبي السكاكينَ؟

ومن يقتل أطفالي المساكينَ..

لئلا يكبروا في الشُّقَقِ المفروشة الحمراءِ

خدّامينَ..

مأبونينَ..

قوّادينَ..

من يقتلُ أطفال المساكين؟

لكيلا يصبحوا ـ في الغد ـ شحّاذينَ..

يستَجْدون أصحَاب الدكاكين

وأبوابَ المرابينَ

يبيعون لسيارات أصحابِ الملايينِ.... الرياحينَ

وفي «المترو» يبيعون الدبابيسَ و«يس»

ويَنَسلُّون في الليل يبيعونَ «الجَعَارينَ»

لأفواج الغزاةِ السائحينْ!

... ...

هذه الأرضُ التي ما وَعَدَ الله بها..

مَنْ خرجوا من صُلْبها..

وانغرسوا في تربها..

وانطرحوا في حُبِّها..

مُسْتَشهَدين!

... ...

... ...

فادخلوها «بسلامِ» آمنين!

١٩٧٥ ـ ١٩٧٢



أقوال جديدة
عن حرب البسوس



مقتل كليب
«الوصايا العشر»

.. فنظر «كليب» حواليه وتحسر. وذرف دمعة وتعبّر.. ورأى عبدا واقفا فقال له: أريد منك يا عبد الخير. قبل أن تسلبني أن تسحبني إلى هذه البلاطة القريبة من هذا الغدير، لأكتب وصيتي إلى أخي الأمير سالم الزير. فأوصيه بأولادي وفلذة كبدي..

فسحبه العبد إلى قرب البلاطة. والرمح غارس في ظهره.. والدم يقطر من جنبه.. فغمس «كليب» إصبعه في الدم. وخط على البلاط وأنشأ يقول...

لا تُصالح

-١-

لا تُصالحْ!

.. ولومنحوك الذهبْ

أترُى حين أفقَأ عينيكَ،

ثم أثبِّتُ جوهرتيْن مكانهمَا..

هل تَرىَ..؟َ

هي أشياءُ لا تشترى:

ذكرياتُ الطفولة بين أخيكَ وبينكَ،

حسُّكما - فجأة - بالرجولةْ..

هذا الحياءُ الذي يكبتُ الشوقَ.. حين تعانقهُ،

الصمتُ ـ مبتسمينْ ـ لتأنيب أمكما..

وكأنكما

ما تزالان طفلينِ!

تلك الطمأنينةُ الأبديةُ بينكما:

أنّ سيفان سيفَكَ...

صوتانِ صوتَكَ..

أنك إن متَّ:

للبيت ربٌّ

وللطفل أبْ!

هل يصيرُ دمي ـ بين عينيكَ ـ ماءُ؟

أتنسى ردائي الملطخَ..

تلبسُ ـ فوق دمائي ـ ثيابًا مطرزَّة بالقصبْ؟

إنها الحربُ!

قد تثقلُ القلبَ..

لكن خلفك عارَ العرب.

لا تصالح..

ولا تتوخ الهرب!

ـ ٢ ـ

لا تصالح على الدم.. حتى بدمْ!
لا تصالحْ! ولو قيل رأسُ برأسٍ،
أكُلُ الرؤوسِ سواء؟
أقلب الغريبِ كقلبِ أخيكَ؟!
أعيناه عينا أخيك؟!
هل تتساوى يدُ... سيفُها كان لكْ
بِيَدٍ سيفُها أثكَلَكْ؟
سيقولونَ:

جئناك كي تحقنَ الدمَ..
جئناكَ. كنْ يا أميرُ ـ الحكمْ

سيقولون:

ها نحن أبناء عمْ

قل لهم إنهم لم يُراعوا العمومةَ فيمن هلكْ

واغرس السيفَ في جبهة الصحراءِ..

إلى أن يجيبَ العدمْ

إنني كنتُ لكْ.

فارسًا.

وأخًا

وأبًا

وملكْ!

-٣-

لا تصالح..

ولو حَرَمتْكَ الرقادْ

صرخاتُ الندامه

وتذكَّر..

(إذا لان قلبُك للنسوةِ اللابساتِ السوادْ

ولأطفالهنَّ الذين تخاصمهم الابتسامه)

أن بنتَ أخيكَ «اليمامه»

زهرةٌ تتسربل في سنوات الصبا ـ

بثياب الحداد..

كنتُ.. إن عدتُ:

تعدو على درج القصر..

تمسكُ ساقيَّ عند نزولي...

فأرفعها ـ وهي ضاحكة ـ

فوق ظهر الجوادْ.

ها هي الآن.. صامتةٌ

حرمتها يدُ الغدرِ:

من كلمات أبيها..

ارتداء الثياب الجديدة

من أن يكون لها ـ ذات يوم ـ أخٌ!

من أب يتبسَّمُ في عرسها..

وتعودُ إليه إذا الزوجُ أغضبها..

وإذا زارها.. يتسابق أحفادُه نحو أحضانهْ،

لينالوا الهدايا..

ويلهوا بلحيته (وهو مستسلمُ)

ويشدّوا العمامة..

لا تصالح!

فما ذنب تلك اليمامة

لترى العُشّ محترقًا.. فجأةً،

وهي تجلس فوق الرماد؟!

- ٤ -

لا تصالح

ولو توَّجوك بتاج الإماره

كيف تخطو على جثةِ ابنِ أبيكَ..؟

وكيف تصيرُ المليك..

على أوجه البهجة المستعاره؟

كيف تنظر في يدِ من صافحوكَ..

فلا تبصُر الدمَ..

في كل كَفْ؟

إن سهما أتاني من الخلفْ...

سوف يجيئُكَ من ألفِ خلفْ

فالدم ـ الآن ـ صار وسامًا وشاره.

لا تصالح..

ولو توَّجوكَ بتاج الإماره

إن عرشكَ: سيفُ

وسيفَكَ: زيف

إذا لم تَزِنْ ـ بذؤابته ـ لحظات الشرف

واستطبت ـ الترف

ـ ٥ ـ

لا تصالح

ولو قال مَن مال عند الصدامْ

«ما بنا طاقةٌ لا متشاقِ الحسامْ...»

عندما يملأ الحقُّ قلبك:

تندلع النار إن تتنفَّسْ

ولسان الخيانة يخرسْ

لا تصالح..

ولو قيل ما قيل من كلمات السلامْ

كيف تستنشق الرئتان النسيم المُدنس؟

كيف تنظرُ في عيني امرأةٍ..

أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟

كيف تصبح فارسهَا في الغرام؟

كيف ترجو غدا.. لوليد ينام

ـ كيف تحلم أو تتغنى بمستقبل لغلام

وهو يكبر ـ بين يديك ـ بقلب مُنكسْ؟

لا تصالحْ

ولا تقتسمْ مع من قتلوكَ الطعام

وارْوِ قلبك بالدمْ..

وارو التراب المقدسْ.

وارو أسلافك الراقدين..

إلى أن ترد عليكَ العظام!

ـ ٦ ـ

لا تصالح..

ولو ناشدَتْكَ القبيله

باسم حزن «الجليله»

أن تسوق الدهاءَ..

وتُبْديَ ـ لمن قصدوكَ ـ القبول.

سيقولون:

ها أنت تطلبُ ثأرًا يطولْ

فخذ ـ الآن ـ ما تستطيعُ:

قليلاً من الحقِّ..

في هذه السنواتِ القليله

إنه ليس ثأركَ وحدَك،

لكنه ثأر جيلٍ فجيل

وغدا..

سوف يولدُ من يلبسُ الدرعَ كاملةً..

يوقد النارَ شامله..

يطلب الثأرَ

يَسْتَوْلد الحقَّ..

من أضلع المستحيل..

لا تصالح..

ولو قيل إن التصالح حيله

إنه الثأرُ!

تَبْهَت شعلتهُ في الضلوع..

إذا ما تَوَالت عليها الفصول..

ثم تبقى يدُ العار مرسومة

(بأصابعها الخمس)

فوق الجباه الذليله!

-٧-

لا تصالح ولو حذرتك النجوم

ورمى لك كهانها بالنبأ..

كنت أغفر لو أنني مِتُ..

ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ

لم أكن غازيا..

لم أكن أتسللُ قرب مضاربهم

أو أحومُ وراء التخوم

لم أمدّ يدًا لثمار الكرومْ

أرضَ بستانهم لم أطأ

لم يصِحْ قاتلي بي. «انْتبه»!

كان يمشي معي..

ثم صافحني..

ثم سار قليلا

ولكنه في الغصون اختبأ!

فجأة:

ثقبتني قشعريرةُ بين ضلعين..

واهتزّ قلبيَ ـ كفقّاعةٍ ـ

وانْفَثَأَ

وتحاملتُ.. حتى احتملتُ على ساعدي

فرأيت: ابنَ عمي الزِنيم
واقفا يتشفى بوجهٍ لئيم
لم يكن في يدي حربةٌ..
أو سلاح قديم..
لم يكن غير غيظي الذي يتشكىَّ الظمأ

-٨-

لا تصالح..
إلى أن يعود الوجودُ لدورته الدائره:
النجومُ.. لميقاتها
والطيورُ.. لأصواتها
والرمالُ.. لذرّاتها
والقتيلُ لطفلته الناظره
كل شيءٍ تحطم في لحظة عابرة:
الصبا - بهجة الأهل - صوتُ الحصان - التعرفُ بالضيف - همهمةُ
القلبِ حين يرى برعما في الحديقة يذوي - الصلاةُ لكي ينزلَ
المطرُ الموسمي - مرواغةُ القلبِ حين يرى طائرَ الموت

وهو يرفرفُ

فوق المبارزةِ الكاسره

كل شيءٍ تحطم في نزوة فاجره

والذي اغتالني: ليس ربًا ليقتلني بمشيئته

ليس أنبلَ مني.. ليقتلني بسكِّينته..

ليس أمهر مني.. ليقتلني باستداراته الماكره

لا تصالح..

فما الصلح إلا معاهدةٌ بين ندَّينْ..

(في شرف القلب)

لاتنتقصْ

والذي اغتالني محضُ لصْ

سرق الأرضَ من بين عينيَّ

والصمت يطْلق ضحكته الساخره!

- ٩ -

لا تصالح..

ولو وقفت ضد سيفكَ كلُّ الشيوخْ

والرجالُ التي ملأتها الشروخْ..
هؤلاء الذين يحبُّون طعم الثريدْ..
وامتطاءَ العبيدْ..
هؤلاء الذين تدلَّتْ عمائمهم فوق أعينهم..
وسيوفُهُم العربّيةُ قد نسيتْ سنواتِ الشموخْ
لا تصالح..
فليس سوى أن تريد
أنت فارسُ هذا الزمان الوحيدْ
وسواكَ.. المسوخْ!

- ١٠ -

لا تصالح..
لا تصالح..

نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٦

أقوال اليمامة

«فلما جاءته الوفود ساعية إلى الصلح. قال لهم الأمير سالم: أصالح إذا صالحت اليمامة.. فقصدت إلى اليمامة أمها الجليلة ومن معها من نساء سادات القبيلة. فدخلن إليها وسلمن جميعا عليها.. وقَبَّلَتْ الجليلة بنتها وقالت: أما كفى؟ فقد هلكت رجالنا وساءت أحوالنا وماتت فرساننا وأبطالنا.. فأجابتها اليمامة: أنا لا أصالح ولو لم يبق منا أحد يقدر أن يكافح..»

- ١ -

أبي.. لا مزيد!

أريد أبي.. عند بوابة القصر..

فوق حصان الحقيقة

منتصبًا.. من جديد

* * *

ولا أطلب المستحيل ولكنه العدل

هل يرث الأرضُ إلا بنوها؟

وهل تتناسى البساتينُ من سكنوها؟

وهل تتنكر أغصانها للجذور..

(لأن الجذور تهاجر في الاتجاه المعاكس؟)

هل تترنم قيثارة الصمت..

إلا إذا عادت القوس تذرع أوتارها العصبية؟

والصدر حتى متى يتحمل أن يحبس القلب..

قلبي الذي يشبه الطائر الدموي الشريد؟

* * *

هي الشمس تلك التي تطلع الآن؟

أم أنها العين ـ عين القتيل ـ التي تتأمل شاخصة:

دمه يترسب شيئًا فشيئا..

ويخضرُّ شيئًا فشيئا..

فتطلع من كل بقعة دم: فم قرمزي..

وزهرة شر..

وكفان قابضتان على منجل من حديد؟

هي الشمس؟ أم إنها التاج؟

هذا الذي يتنقل فوق الرؤوس إلى أن يعود

إلى مفرقِ الفارس العربي الشهيد؟

* * *

أقول لكم: أيها الناس كونوا أناسا!

هي النار.. وهي اللسان الذي يتكلم بالحق!

إن الجروح يطهرها الكيُ..

والسيف يصقله الكيرُ..

والخبز ينضجه الوهجُ..

لا تدخلوا مِعْمدانية الماء..

بل معمدانية النار..

كونوا لها الحطب المشتهى والقلوب: الحجارة

كونوا.. إلى أن تعود السماوات زرقاء

والصحراء بتولا..

تسير عليها النجوم مُحَمَّلة بسلالِ الورود

أقول لكم: لا نهاية للدم..

هل في المدينة يضرب بالبوق ثم يظل الجنود

على سرير النوم؟

هل يرفع الفخ من ساحة الحقل.. كي تطمئن العصافير؟

إن الحمام المطوق ليس يقدم بيضته للثعابين..

حتى يسود السلام

فكيف أقدم رأس أبي ثمنًا؟

من يطالبني أن أقدم رأس أبي ثمنا.. لتمر القوافل آمنة..

وتبيع بسوق دمشق حريرا من الهند

أسلحة من بخارى

وتبتاع من بيت جالا العبيد؟

مراثي اليمامة

صار ميراثُنا في يد الغرباء

وصارت سيوفُ العدو: سقوف منازلنا

نحن عباد شمسٍ يشير بأوراقه نحو أروقة الظل

إن التُوَيجَ الذي يتطاول:

يخرق هامته السقف

يخرط قامته السيف

إن التويج الذي يتطاول

يسقط في دمه المنسكب!

يَسْتقي ـ بعد خيل الأجانب ـ من ماء آبارنا

صوف حملاننا ليس يَلْتفُّ إلا على مغزل الجزية

النار لاتتوهج بين مضاربنا

بالعيون الخفيضة نستَقبل الضيف

أبكارنا ثيِّبات

وأولادُنا للفراش..

ودراهمنا فوقها صورة الملك المغتصب

أيادي الصبايا الحنائن تضم على صدره نصف ثوب

وتبقى عيون كليب مسمرة في شواشي الجنائن

أسائل

من للصغار الذين يطيرون ـ كالنحل ـ فوق التلال؟

ومن للعذارى اللواتي جَعَلْن القلوب

قَوَايرَ تَحْفظ رائحة البرتقال؟

ومن سيروض مُهْر الخيال؟

ومن سيضمد ـ في آخر الصيد ـ جرح الغزال؟

ومن للرجال..

إذا قيل «ما نسب القوم»؟...

فانسكبت في خدود الرمال دموع السؤال؟

بنات أبي ـ الزهرات الصغيرات ـ يسألْنَنِي

لم أبكي أبي!

ويبكين مثلي

ويخْلدن للنوم حين أغالب دمعي..

وأرْوي لهنّ الحكايا

عن الملك النسر

والملك الثعلب

فإنْ نِمْنَ.. جاء أبي.. ليهزّ الأراجيح

يَلْمس وَجْناتهن..

ويعطي لهنَّ اللعب..

ويمضي.. وعيناه مُسْبلتان..

وساقاه تشتكيان التعب..

أبي ظامئ يا رجال

أريقوا له الدم كي يرتوي

وصُبّوا له جَرعة جَرْعة في الفؤاد الذي يَكْتَوي

عسى دمه المتسرِّب بين عروق النباتات..

بين الرمال..

يعود له قطرة قطرة..

فيعود له الزمن المنطوي

... ...

-٢-

خصومة قلبي مع الله.. ليس سواه

أبي أخذ المُلك سيفا لسيف.. فهل يؤخذ المُلك

منه اغتيالا..

وقد كللّته يد الله بالتاج؟!

هل تنزع التاج إلا اليدان المباركتان..

وهل هان ناموسه في البرية

حتى يتوج لص.. بما سرقته يداه؟!

خصومة قلبي مع الله..

إني أنزّه سهم منيَّته أن يجيء من الخلف

إن الذي يطلق السهم ليس هو القوس..

بل قلب صاحبه..

والذي يجعل النفس تستقبل الموت راضية.. نبل واهبه..

فأنا أرفض الموت غدرا..

فهل نزل الله عن سهمه الذهبي لمن يستهين به

هل تكون مكان أصابعه.. بصماتُ الخطاه؟

خصومة قلبي مع الله.. ليس سواه!

كليب يموت..

ككلب تصادفه في الفلاة؟

إذن فلماذا كسا وجهَهُ الصورة الآدمية؟

هل كرَّم الله إنسانه؟

مات من مات كلبا.. فأين إذن ذهب الآدمي الذي

قد براه؟

خصومة قلبي مع الله

قلبي صغير كفستقة الحزن.. لكنه في الموازين

أثقل من كفة الموت

هل عرف الموت فقد أبيه؟

هل اغترف الماءَ جَدْول الدمع..؟

هل لبس الموتُ ثوب الحداد الذي حاكه.. ورماه؟

خصومة قلبي مع الله

أين وريثُ أبي؟

ذهب الملكُ..

لكن لاسْمِ أبي حقّ أن يتناقله ابنه عنه

فكيف يموت أبي مرتين؟

أيتها الأنجم المتلوِّنة الوجه:

قولي له

قد سلبت حياتيْن..

أبق حياةً..

ورُدَّ حياة..

خصومة قلبي مع الله

هذا الكمال الذي خلق الله هَيْئَتَهُ

فكَسا العظم باللحم..

ها هو: جسما ـ يعود له ـ دون رأس..

فهل تتقبل بوابةُ الغيب ما شابه العيب..؟

أم إن وجه العدالة

أن يرجع الشلو للأصل..

أن يرجع البعد للقبل..

أن ينهض الجسد المتمزق مكتمل الظل

حتى يعود إلى الله.. متّحدا في بهاه؟

-٣-

يجيء أخي

هل عباءته الريح؟

هل سيفه البرق؟

هل يتمنطق فوق جواد السحاب؟

يجيء أخي!

غافلا عن كتاب المواريث

عن دمه الملكي..

عن الصولجان الذي صار مقبضه العاج:

رأس غراب!

يجيء أخي

(كان يعرفه القلب!)

أقْذف تفاحة

يتصدّى لها وهو يطحنها بالركاب!

(هي الخطأ البشري الذي حرم النفس فردوسها

الأول المستطاب)

أثنّي فأقذف تفاحة..

تستقر على رأس حربته!

(أيها الوطن المستدير.. الذي تثقب الحرب عذرته

بالحراب)

.. وتفاحة تتلقفها يده!

(هي جوهرة الملك..

جوهرة العدل..

جوهرة الحب..

فالحب آب!)

* * *

قلوب ثلاثية شارة الزمن القادم المستجاب

قفوا يا شباب!

لمن جاء من رحم الغيب..

خاض بساقيه في بركة الدم

لم يتناثر عليه الرشاش..

ولم تبدُ شائبة في الثياب!

قفوا للهلال الذي يستدير..

ليُصبح هالات نور على كل وجه وباب!

قفوا يا شباب!

كليب يعود..

كعنقاء قد أحرقت ريشها

لتظل الحقيقة أبهى..

وترجع حلُتها ـ في سنا الشمس.. أزهى..

وتفرد أجنحة الغد..

فوق مدائن تنهض من ذكريات الخراب!!

إشارات تاريخية

البسوس:

هي المرأة التي أثارت الفتنة بين قيس وأشعلت الحرب أربعين سنة، وأثارت بني بكر على بني تغلب، وحملت اسمها الملحمة. وهي كما تقول الرواية (شاعرة عجوز من عجائب الزمان ذات مكر واحتيال وخداع).. وكان لها أربعة أسماء (سعاد.. تاج بخت.. هند.. البسوس) وهي أخت الملك حسان اليماني الذي قتله الأمير كليب من أجل ابنة عمه وخطيبته الجليلة.

كليب بن ربيعة:

اسمه وائل، وكليب لقبه، نشأ في حجر أبيه، ودرب على الحرب، ثم تولى قيادة الجيش لبكر وتغلب زمنا.. «فكان ليث الصدام وزينة الليالي» كما تقول الرواية.

جليلة بنت مرة:

شاعرة. ابنه عم كليب، وزوجته التي أنجبت له سبع بنات، وولدًا بعد موته هو (الهجرس) البطل المنتقم لأبيه.

وبعد مقتل زوجها كليب على يد أخيها جساس، خرجت من تغلب وتنقلت مع بني شيبان قومها مدة حروبهم حتى ماتت.

اليمامة:

كبرى بنات كليب.. تقول الرواية إنها رفضت الدية في أبيها.. وكانت تقول:

«أنا لا أصالح حتى يقوم والدي

ونراه راكبًا يريد لقاكم»

وقد اختصمت مع أمها لأنها أخت قاتل كليب.. حتى رحلت الجليلة مع قومها.

جساس بن مرة:

ابن عم لكليب وقاتله بعد أن نجحت البسوس (التي أقامت في ضيافته) في أن تثير الفتن: بأن أمرت عبيدها أن يطلقوا ناقتها الجرباء ترعى في البستان المعروف بحي كليب. وتدمر الأشجار

والأسوار.. حتى أمر كليب بذبح الناقة ، ويقال إن جساسا هو آخر قتيل في حرب البسوس التي استمرت منذ مقتل كليب وحتي مصرع جساس أربعين عاما.

المهلهل بن ربيعة:

هو سالم الملقب بالزير أو أبو ليلى المهلهل الكبير أخو كليب وبطل السيرة والملحمة.. يصفه الرواة: (بالأسد الكرار والبطل المغوار صاحب الأشعار البديعة والوقائع المهولة المريعة).

عندما أعلنته اليمامة وصية أبيها قال: إني لا أصالح إلى الأبد، ما دامت روحي في هذا الجسد.

تذييل

«حاولت أن أقدم في هذه المجموعة حرب البسوس التي استمرت أربعين سنة عن طريق رؤيا معاصرة.

وقد حاولت أن أجعل من كليب رمزا للمجد العربي القتيل أو للأرض العربية السليبة التي تريد أن تعود إلى الحياة مرة أخرى ولا نرى سبيلا لعودتها أو بالأحرى لإعادتها إلا بالدم.. وبالدم وحده..

وهذه المجموعة عبارة عن قصائد مختلفة، استحضرت شخصيات الحرب وجعلت كلا منها يدلي بشهادته التاريخية حول رؤيته الخاصة.. ومن الطبيعي أن يكون لكل من هذه الشخصيات شهادتها المختلفة عن شهادة الأخرى..

لقد استحضرت الملك كليب نفسه في ساعاته الأخيرة، وأدلت اليمامة التي كانت ترفض الصلح بشهادتها، وكذلك فعل المهلهل الذي قاد الحرب انتقاما له.. وقدمت شهادة جساس مع تبريراته

لجريمته، ثم شهادة جليلة بنت مرة الممزقة بين البطلين.. «زوجها وأخيها» ثم أتيت بشهادات لبعض الشخصيات التي تلعب دورا معلقا على الأحداث...»

أمل دنقل

عن مجلة آفاق عربية ـ ١٩٨١

والديوان بصورته الأخيرة هذه.. يحتوي على شهادتين أو قصيدتين فقط هما: «الوصايا العشر، وأقوال اليمامة ومراثيها» وقد كتبت قصائده ما بين (١٩٧٦ ـ ١٩٧٧).

أما الشهادات (القصائد) الأخرى التي تحدث عنها أمل، فقد ظلت تتبدل وتتغير يوما بعد آخر، رافضة الوصول إلى حل يقنع الشاعر باكتمالها النهائي ذلك على الرغم من اكتمال أجزاء كثيرة منها في ذاكرة الشاعر (الذي لا يسجل قصيدته على الورق إلا بعد أن يقتنع باكتمالها الأخير).

ومات أمل قبل أن تكتمل شهاداته (قصائده) في ذهنه المبدع، وقبل أن يقنع ذهنه المبدع بصيغه إبداعية أخيرة، وقبل أن ينتقم الزير لمقتل أخيه كليب، وقبل أن تضع الحرب أوزارها، لتظل الرؤيا باحثة عن حل يكتمل في الإبداع أو يتحقق في الواقع.

أوراق الغرفة (٨)



عم صباحًا أيها الصقر المُجنَّحْ

عم صباحا

سنة تمضي.. وأخرى سوف تأتي

فمتى يقبل موتى

قبل أن أصبحَ ـ مثل الصقرِ ـ

صقرًا مستباحا؟!

بكائية لصقر قريش

الورقة الأخيرة
الجنوبي

صورة

هل أنا كنتُ طفلا

أم إنّ الذي كان طفلاً سواي؟

هذه الصورُ العائليةُ..

كان أبي جالسا، وأنا واقفٌ.. تتدلى يداي

رفسةٌ من فَرَسْ

تركَتْ في جبيني شجًّا.. وعلّمت القلب أن يحترسْ.

أتذكرُ..

سال دمي

أتذكُر

مات أبي نازفًا

أتذكرُ..

هذا الطريق إلى قبره..

أتذكرُ

أختي الصغيرةَ ذات الربيعينِ.

لا أتذكر حتى الطريق إلى قبرها

المنطمسْ

أو كان الصبيُ الصغير أنا؟

أم ترى كان غيري؟

أُحدّق..

لكنّ تلك الملامح ذات العذوبةِ

لا تَنْتمي الآن لي.

والعيون التي ترقرق بالطيبةِ

الآن لا تنتمي لي

صرت عني غريبا

ولم يتبق من السنوات الغريبةِ

إلا صدى اسمي..

وأسماءُ من أتذكرهم ـ فجأة ـ

بين أعمدة النّعْي.

أولئك الغامضون: رفاق صباي.

يُقْبلون من الصمت وجهًا فوجهًا

فيجتمع الشملُ كل صباحٍ..

لكي نأتنسْ

وجه

كان يسكن قلبي

وأسكن غرفتهُ

نتقاسم نصفَ السريرِ

ونصفَ الرغيفِ

ونصفَ اللفافةِ..

والكتبَ المستعارةْ

هجرته حبيبته في الصباحِ فمزقَ شريانه في المساء

ولكنه بعد يومين مزق صورتها...

واندهشْ

خاض حربين بين جنود المظلات

لم ينخدشْ

واستراح من الحربِ...

عاد ليسكن بيتا جديدًا

ويكْسب قُوتًا جديدًا

يدخن علبة تبغ بكاملها

ويجادل أصحابه حول أبخرة الشاي..

لكنه لا يطيل الزياره

عندما احتَقَنتْ لوزتاه.. استشار الطبيبَ..

وفي غرفة العمليات..

لم يصطحب أحدًا غير خُفٍّ

وأنبوبة لقياس الحرارهْ

فجأة مات!

لم يحتمل قلبه سَرَيان المخدّر..

وانسحبت من على وجهه سنوات العذابات

عاد كما كان طفلا..

يشاركني في سريري

وفي كسرة الخبز.. والتبغ

لكنه لا يشاركني... في المراره!

وجه

من أقاصي الجنوب أتى.. عاملا

للبناء

كان يصعد «سقّالة» ويغني لهذا الفضاء

كنت أجلس خارج مقهى قريب..

وبالأعين الشارده..

كنت أقرأ نصفَ الصحيفة..

والنصف أُخْفِي به وسخ المائده

لم أجد غير عينيْن لا تبصران..

وَخيْطَ الدماء

وانحنيُت عليه.. أجس يَده

قال آخر: لا فائدةْ

صار نصفُ الصحيفةِ كل الغِطاء

وأنا.. في العراءْ

وجه

ليت «أسماءَ» تعرفُ أن أباها صَعَدْ

لم يمتْ

هل يموت الذي كان يحيا

كأن الحياة أبدْ!

وكأن الشراب نفدْ!

وكأن البنات الجميلاتِ يمشين فوق الزبدْ!

عاش منتصبًا.. بينما

ينحني القلبُ يبحث عمًّا فقدْ

ليت «أسماءَ» تعرف أن أباها الذي

حفظ الحبُّ والأصدقاءُ تصاويرَه..

وهو يضحكُ..

وهو يفكّرُ

وهو يفتش عمّا يقيم الأودْ

ليت.. أسماءَ.. تعرف أن البناتِ الجميلاتِ

خبّأنه بين أوراقهنّ

وعلّمْنه أن يسيرَ..

ولا يلتقي بأحد!

مرآة

ـ هل تريد قليلا من البحر؟

ـ إن الجنوبي لا يطمئن إلى اثنين يا سيدي:

البحر ـ والمرأة الكاذبة.

ـ سوف آتيك بالرمل منه

... وتلاشى به الظلُّ شيئًا فشيئًا..

فلم أستبنْه

ـ هل تريد قليلا من الخمر؟

ـ إن الجنوبي يا سيدي يتهيب شيئين:

قنينة الخمرِ ـ والآلةُ الحاسبةْ.

ـ سوف آتيك بالثلجِ منه

.. وتلاشى به الظل شيئًا فشيئًا...

فلم أستبنْه

بعدها لم أجد صاحبي

لم يعدْ واحدٌ منهما لي بشي

ـ هل تريد قليلا من الصبرِ؟

ـ لا..

فالجنوبي يا سيدي يشتهي أن يكون الذي لم يكنه

يشتهي أن يلاقي اثنتين:

الحقيقةَ ـ والأوجهَ الغائبة.

فبراير ١٩٨٣

ضـــدّ مَن؟

في غُرف العمليات

كان نقابُ الأطباء أبيض..

لونُ المعاطف أبيض..

تاجُ الحكيمات أبيض.. أرديةُ الراهباتِ..

الملاءاتُ

لون الأسرة.. أربطةُ الشاش والقطن

قرصُ المنومِ.. أُنبوبةُ المصل..

كوبُ اللبن

كل هذا يشيعُ بقلبي الوهن

كلَّ هذا البياض يذكرني بالكفنْ!

فلماذا إذا متّ..

يأتي المعزُّون متّشحين..

بِشَارات لوْن الحداد؟

هل لأن السواد...

هو لون النجاة من الموتِ؟

لون التّمِيمةِ ضدّ... الزمنْ..

ضد من..؟

ومتى القلب ـ في الخفقانِ ـ اطمأن؟!

* * *

بين لونين: أستقبل الأصدقاء..

الذين يروْن سريريَ قبرًا

وحياتي.. دهرًا

وأرى في العيون العميقةِ

لون الحقيقةِ

لون تراب الوطنْ!

مايو ١٩٨٢

زهـــــور

وسلال من الوردِ

ألمحها بين إغفاءة وإفاقةْ

وعلى كل باقةْ

اسمُ حاملها في بطاقةْ

...   .

تتحدث لي الزهراتُ الجميلةُ

أن أعينها اتسعتْ ـ دهشةً ـ

لحظة القطفِ..

لحظة القصفِ..

لحظةَ إعدامها في الخميله!

تتحدثُ لي..

أنها سقطت من على عرشها في البساتين

ثم أفاقت على عرضها في زجاج الدكاكين.. أو بين أيدي

المنادين..

حتى اشترتها اليدُ المتفضلةُ العابرهْ

تتحدث لي..

كيف جاءت إليّ..

(وأحزانهُا الملكيةُ ترفع أعناقها الخضَر)

كي تتمنى لي العمرَ!

وهي تجود بأنفاسها الآخرهْ!!

كل باقهْ..

بين إغماءة وإفاقهْ

تتنفس مثلي ـ بالكادِ ـ ثانية.. ثانيهْ

وعلى صدرها حملت ـ راضيهْ..

اسم قاتلها في بطاقةْ!

مايو ١٩٨٢

السـريـر

أوهموني بأن السريرَ سريري!

أن قاربَ «رغْ»

سوف ـ يحملني عبر نهر الأفاعي

لأولدَ في الصبح ثانية.. إن سطعْ

(فوق الورق المصقول

وضعوا رقمي دون اسمْ

وضعوا تذكرةَ الدمْ

واسم المرضِ المجهولْ)

أوهموني فصدقتُ...

(هذا السريرْ

ظنني ـ مثله ـ فاقد الروحِ

فالتصقت بي أضلاعُه

والجمادُ يضمُّ الجمادَ ليحمَيهُ من مواجهةِ الناسِ)

صرتُ أنا والسريرْ...

جسدًا واحدًا.. في انتظارِ المصيرْ!

(طول الليلاتِ الألفْ

والأذرعةُ المعدنْ

تلتفُ وتتمكنْ

في جسدي حتى النزفْ)

صِرتُ أقدرُ أن أتقلبَ في نومتي واضطجاعي

أن أحركَ نحو الطعام ذراعي..

واستبان السرير خداعي

فارتعش!

وتداخل ـ كالقنفدِ الحجريِّ ـ على صمته وانكمشْ

قلتُ: يا سيدي.. لمَ جافيتني؟

قال: ها أنت كلمتني..

وأنا لا أجيب الذين يمرُّون فوْقي

سوى بالأنينْ

فالأسرَّة لا تستريح إلى جسدِ دون آخرَ

الأسرَّة دائمةُ

والذين ينامون سرعان ما ينزلونْ

نحو نهر الحياة لكي يسبحوا

أو يغوصوا بنهر السكونْ!

نوفمبر ١٩٨٢

لعبة النهاية

في الميادين يجلس

يطلق ـ كالطفلِ ـ نبلته بالحصى..

فيصيب بها من يُصِيب من السابلةْ!

يتوجّه للبحر..

في ساعة المدّ:

يطرح في الماء سنارة الصيد..

ثم يعود...

ليكتب أسماء من علقوا في أحابيله القاتلةْ

لا يحبُّ البساتينَ..

لكنه يتسللُ من سورِها المتآكلِ

يصنع تاجًا:

جواهرهُ.. الثمرُ المتعفنُ..

إكليلهُ.. الورقُ المتغضنُ..

يلبسه فوق طَوقْ الزهورِ

الخريفيِة

الذابلهْ!

يتحول: أفعى.. ونايا

فيرى في المرايا:

جسدين وقلبين متحدينِ

(تغيمُ الزوايا

وتحكي العيونُ حكايا)

فينسلُ بينهما...

مثل خيط من العرق المتفصدِ..

يلعق دفء مسامهما،

يغرسُ النابَ في موضع القلبِ

تَسْقط رأسُ الفتى في الغطاء..

وتبقى الفتاة..

محدِّقة

ذاهلةْ..!

أمس: فاجأتهُ بجوار سريري

ممسكًا ـ بيد ـ كوب ماءْ

ويدٍ ـ بحبوب الدواء

فتناولتها..!

كان مبتسمًا

وأنا كنت مستسلمًا

لمصيري!!

يونيو ١٩٨٢

ديسمـــبر

ـ ١ ـ

تتساقط أوراقُ «ديسمبر» الباهته!

... ...

هو عُمرُ من الريحِ

(هذا الذي بين أن تترك الورقةُ الغصنَ

حتى تلامسَ أطرافُها حافةَ الأرضِ)

عمرُ من الاضطرابْ

فافترشنَ جواري ـ أيتها الباحثاتُ عن الذات ـ

وجهَ الترابْ

وتعالين.. نرو الأقاصيصَ..

عن راحة الروح

عن لذة الاغترابْ

وعبوديّة الأغصن الثابته.

ـ ٢ ـ

أخذوا أصدقائَي للسجنِ..

لكنهم في ليالي الحنينْ

يقبلون.. لنشرب كأسينِ..

في البار ذي الردهة الخاليهْ

فإذا دقت الساعةُ الثانيهْ

صفّق الخدم المتعبون

فاختفى أصدقائي وهم يضحكون

نلتقي ثانية

نلتقي الليلة التاليه..

... ...

بعدها خرجوا: انقطع الخيط ما بيننا

واستطال السكون

كان ما بينهم: ذكرياتٌ.. وخبزٌ مريرٌ

ومسحة حزن

قلت: ها أصبحوا ورقا ثابتا في شجيرة سجن

فمتى يفلتونَ

من الزمن المتوقف في ردهات الجنونْ؟

ـ٣ـ

ها هو الرّخُّ ذو المخلبين يحومُ..

ليحمل جثة ديسمبرَ الساخنهْ

ها هو الرخ يهبطُ..

والسحب تلقي على الشمس طرحتها الداكنه

قالت الراهباتُ:

(سلامٌ على الأرضِ!)

يا أيها الرخّ: كم جثة حملتها مخالبك الأبديةُ خلف الجبلْ؟؟

ما الذي نحن نعطيكَ ـ يا أيها الرخ ـ منذ الأزلْ؟

ما الذي نحن نعطيك؟

لا شيء إلا توابيت.. لا شيء..

إلا المبادلة الخائبه

جثث تتراكم في الضفة الساكنه

بينما نحن ـ نمتلك النورَ

عشب البحيراتِ ـ صوت الكناريا ـ

مجالسة الورد ـ أنشودةَ المهد ـ رقصَ

البنات الصغيرات في العرس ـ تمَتمةَ

القس في الصلوات ـ خرير الينابيع ـ

هذا التساؤلَ عن لون عينين عاشقتينِ..

كنافذتين على البحر ـ طعم القُبَلْ..

بينما أنت من ظلمة العدم الآسنهْ

تتلقى النفايات تلو النفاياتِ دون كللْ

عاجزًا عن ملامسة الفرح العذبِ..

عن أن تبلَّ جناحك في مطر القلبِ

أن تتطهر بالرقة الفاتنه!!

ـ ٤ ـ

قلت للورق المتساقطِ من ذكريات الشجرْ

إنني أترك الآن ـ مثلك ـ بيتي القديمْ

حيث تلقي بيَ الريح أرسو ـ

وليس معي غيرُ:

حزني المقيمْ

وجوازُ السفرْ!

الطيور

- ١ -

الطيور مُشردةٌ في السمواتِ

ليس لها أن تَحُطّ على الأرضِ

ليس لها غير أن تتقاذفها فلواتُ الرياح!

ربما تتنزلُ...

كي تستريح دقائق..

فوق النخيل - النجيلِ - التماثيلِ -

أعمدةِ الكهرباء -

حوافِ الشبابيك والمشْرَبِياتِ

والأسطحِ الخرسانية

(اهدأ.. ليلتقط القلبُ تنهيدةً..

والفمُ العذبُ تغريدةً..

والقطِ الرزقَ..)

سرعان ما تتفزعُ..

من نقلة الرجْل..

من نبلة الطفل..

من مَيْلة الظلّ عبر الحوائط

من حصوات الصياح!

* * *

الطيورُ معلقةٌ في السمواتِ

ما بين أنسجة العنكبوت الفضائي: للريحِ

مرشوقةٌ في امتداد السهام المضيئةِ

للشمس..

(رفرفْ..

فليس أمامك ـ

والبشرُ المستبيحون والمستباحون: صاحون ـ

ليس أمامك غير الفرارْ..

الفرار الذي يتجدد.. كل صباح!)

(٢)

والطيور التي أقعدتها مخالطةُ الناسِ..

مرت طمأنينة العيش فوق مناسرِها..

فانتختْ

وبأعينها.. فارْتَختْ

وارتضت أن تُقأقئَ حول الطعام المتاح

ما الذي يتبقّى لها.. غيرُ سكّينةِ الذبحِ..

غيرُ انتظارِ النهايةِ.

إن اليدَ الآدميةَ.. واهبةَ القمح

تعرف كيف تسنّ السلاح!

(٣)

الطيورُ.. الطيورْ

تحتوي الأرضُ جثمانها.. في السقوط الأخيرْ!
والطيورُ التي لا تطيرْ..
طوت الريشَ.. واستسلمتْ
هل ترى علمتْ
أن عمر الجناح قصيرُ.. قصيرْ؟!
الجناحُ حياة
والجناحُ رَدَى
والجناحُ نجاة
والجناحُ.. سُدَى!

١٩٨١ ـ ١٩٨٢

الخيـــــول

-١-

الفتوحاتُ - في الأرض - مكتوبة بدماء الخيولْ
وحدود المالكْ
رَسمَتْها السنابكْ.
والركابان: ميزانُ عدلٍ يميل مع السيف..
حيث يميلْ!

* * *

اركضي أوقفي الآن.. أيتها الخيلُ:
لست المغيراتِ صُبحا
ولا العاديات - كما قيل - ضَبْحا

ولا خضرة في طريقك تُمْحى

ولا طفل أضحى

إذا ما مررت به.. يتنحَّى

وها هي كوكبةُ الحرسِ الملكي..

تجاهد أن تبعث الروحَ في جسد الذكرياتِ

بدقِّ الطبولْ

اركضي كالسلاحفْ

نحو زوايا المتاحفْ..

صيري تماثيلَ من حجر في الميادينَ

صيري أراجيح من خشبٍ للصغار ـ الرياحينَ

صيري فوارس حلوى بموسمك النبويِّ

وللصبية الفقراء: حصانًا من الطينِ

صيري رسوما.. ووشما

تجفّ الخطوط به

مثلما جف ـ في رئتيك ـ الصهيل!

- ٢ -

كانت الخيلُ - في البدء - كالناسِ

برِّية تتراكضُ عبرْ السهولْ

كانت الخيلُ كالناس في البدء..

تمتلك الشمسَ والعُشْبَ

والملكوتَ الظليلْ

ظهرُها.. لم يُوطأ لكي يركبَ القادةُ الفاتحون

ولم يلن الجسدُ الحر تحت سياط المُرَوّضِ

والفمُ لم يمتثل للجام

ولم يكن الزاد.. بالكادِ..

لم تكن الساق مشكولة..

والحوافرُ لم يك يثقلها السنبكُ المعدنُي الصقيلْ..

كانت الخيل برية

تتنفس حرية

مثلما يتنفسها الناسُ

في ذلك الزمن الذهبي النبيلْ

* * *

اركضي.. أوْقفي

زمنٌ يتقاطعُ

واخترتِ أن تذهبي في الطريق الذي يتراجعُ

تنحدر الشمسُ

ينحدر الأمسُ

تنحدر الطرق الجبلية للهُوّةِ اللانهائيةِ

الشهبُ المتفحمةُ

الذكرياتِ التي أشَهَرت شَوْكها كالقنافِذ

والذكرياتِ التي سلخ الخوفُ بشرتها.

كلُّ نهر يحاول أن يلمس القاع

كل الينابيع إن لمستْ جدولا من جداولها

تختفي

وهي.. لا تكتفي!

فاركضي أوْ قفي

كل دربٍ يقودك من مستحيل إلى مستحيل!

-٣-

الخيولُ بساطٌ على الريح

سار - على متنه - الناسُ للناسِ عَبْر المكانْ

والخيولُ جدار به انقسمَ

الناس صنفين:

صاروا مشاة.. وركبانْ

والخيولُ التي انحدرت نحو هوةِ نسيانها

حملت معها جيل فرسانها

تركت خلفها: دمعة الندم الأبدي

وأشباحَ خيل

وأشباهَ فرسان

ومشاة يسيرون - حتى النهايةِ - تحت ظلالِ الهوانْ

اركضي للقرارْ

واركضي أوْ قفي في طريق الفرارْ

تتساوى محصلة الركضِ والرفضِ في الأرضِ

ماذا تبقى لك الآن

ماذا؟

سوى عرقٍ يتصببُ من تعبٍ
يستحيل دنانيرَ من ذهبٍ
في جيوب هواة سلاّلاتك العربيهِ
في حلبات المراهنةِ الدائريهِ
في نزهة المركبات السياحية المشتهاه
وفي المتعة المشتراهِ
وفي المرأة الأجنبيةِ تعلوكِ تحت
ظلال أبي الهول..
(هذا الذي كسرت أنْفهُ
لعنةُ الانتظار الطويلْ)

- ٤ -

استدارت - إلى الغربِ - مزولةُ الوقتْ:
صارت الخيلُ ناسًا تسيرُ إلى هوة الصمتْ
بينما الناسُ خيلُ تسير إلى هُوّة الموتْ!

١٩٨١ - ١٩٨٢

مقابلة خاصة مع ابن نوح

جاء طوفانُ نوحْ!

* * *

المدينة تغرقُ شيئًا.. فشيئًا

تفرُ العصافيرُ

والماء يعلو

على درجاتِ البيوتِ ـ الحوانيتِ ـ مبنى البريدِ ـ البنوكِ ـ التماثيل

(أجدادنا الخالدين) ـ المعابدِ ـ أجولة القمحِ ـ مستشفيات الولادةِ

ـ بوابة السجنِ ـ دار الولايةِ ـ

أروقةِ الثكناتِ الحصينه

العصافيرُ تجلو..

رويدا..

رويدا..

ويطفو الإوزُّ على الماء..

يطفو الأثاثُ..

ولعبة طفلٍ..

وشهقةُ أم حزينهْ

الصبايا يلوحن فوق السطوحْ!

جاء طوفانُ نوحْ

ها هم «الحكماءُ» يفرونَ نحو السفينةُ

المغَنّون ـ سائسُ خيلِ الأميرِ ـ المرابونَ ـ

قاضي القضاةِ

(.. ومملوكُهُ!) ـ

حاملُ السيفِ ـ راقصةُ المعبدِ

(ابتهجت عندما انتشلتْ شعرها المستعارْ)

جباةُ الضرائبِ ـ مستوردو شحناتِ السلاحِ ـ

عشيقُ الأميرةِ في سمته الأنثوي الصبوحْ!

جاء طوفان نوحْ.

ها هم الجبناءُ يفرون نحو السفينْة

بينما كنتُ

وكان شبابُ المدينةْ

يُلجمون جَوادَ المياهِ الجَمُوحْ

ينقلون المياهَ على الكتفينِ

ويستبقون الزمنْ

يبتنونَ سدودَ الحجارةِ

علهم ينقذوَنِ مهادَ الصبا والحضارةِ

علهم ينقذونَ.. الوطنْ!

صاح بي سيدُ الفلكِ ـ قبل حلول

السكينهْ:

«انجُ من بلدٍ.. لم تعد فيه روحْ»

قلتُ:

طوبى لمن طعموا خبزه..

في الزمان الحسنْ

وأداروا له الظهر

يوم المحنْ!

ولنا المجد ـ نحن الذين وقفنا

(وقد طمسَ الله أسماءنا!)

نتحدى الدمارَ..

ونأوي إلى جبلٍ لا يموتُ

(يسمُّونه الشعبَ!)

نأبي الفرارَ..

ونأبى النزوحْ!

... ...

... ...

كان قلبي الذي نسجته الجروحْ

كان قلبي الذي لعنته الشروحْ

يرقد ـ الآن ـ فوق بقايا المدينةْ

وردة من عطنْ

هادئًا..

بعد أن قال «لا» للسفينةْ

وأحب الوطنْ!

١٩٧٦

خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين

ها أنت تسترخي أخيرا..

فوداعًا

يا صلاحَ الدينْ.

يا أيها الطبلُ البدائيُّ الذي تراقصَ الموتى

على إيقاعِهِ المجنونِ

يا قارب الفلين

للعرب الغرقى الذين شتتتهُمْ سفنُ القراصنه

وأدركتْهم لعنةُ الفراعنه

وسنة.. بعد سنة..

صارت لهم «حطينْ»..

تميمة الطفل وإكسير الغد العنينْ

(جبل التوباد حياك الحيا)

(وسقى الله ثرانا الأجنبي!)

مرّت خيولُ التركْ

مرت خيولُ الشِّرْكْ

مرت خيول الملك ـ النسر

مرت خيولُ التتر الباقينْ

ونحن ـ جيلا بعد جيل ـ في ميادين المراهنه

نموت تحت الأحصنهْ!

وأنت في المذياع.. في جرائد التهوينْ

تستوقف الفارين

تخطب فيهم صائحا: «حطين»..

وترتدي العقال تارة..

وترتدي ملابس الفدائيينْ

وتشرب الشاي مع الجنودِ

في المعسكرات الخشنه

وترفع الراية..

حتى تستردَّ المدن المرتَهنَه

وتطلق النارَ على جوادك المسكينْ

حتى سقطتَ ـ أيها الزعيم

واغتالتك أيدي الكهنه!

(وطني لو شُغلتُ بالخلدِ عنه..)

(نازعتني ـ لمجلس الأمن ـ نفسي!)

نمْ يا صلاح الدين

نَمْ.. تتدلى فوق قبرك الورودُ..

كالمظليين!

ونحن ساهرون في نافذة الحنين

نقشر التفاحَ بالسكينْ

ونسأل الله «القروض الحسنة»!

فاتحة:

آمين:

١٩٧٦

بكائية لصقر قريش

عم صباحًا.. أيها الصقرُ المجنحْ

عم صباحا..

هل ترقبت كثيرا أن ترى الشمسَ

التي تغسلُ في ماء البحيراتِ الجراحا

ثم تلهو بكراتِ الثلجِ

تستلقي على التربةِ

تستلقي.. وتلفحْ!

هل ترقبتَ كثيرًا أن ترى الشمسَ.. لتفرحْ

وتسد الأفق للشرق جناحا؟

أنت ذا باقٍ على الراياتِ.. مصلوبًا.. مباحا

تصفِّر الريحُ وأضلاعُك كالروضِ المُصوِّحْ

تتشهى لذعة الشمسِ التي تنسج الدفءِ وشاحا

أنت ذا باق على الرايات مصلوبا.. مباحا

«اسقني...»

لا يرفع الجندُ سوى كوب دمٍ.. مازال يسفحْ

ـ «اسقني..»

ـ هاك الشراب! النبويّ..

اشربه عذبا مقراحا

مثلما يشربه الباكونَ

والماشون! في أنشوبة الفقر المسلح!

ـ «اسقني..»

بينما «السادة» في بوابة الصمت المملحِ

يتلقون الرياحا

ليلفّوها بأطرافِ العباءاتِ..

يدقوا في ذراعيها المساميرَ..

وتبقى أنتَ

(ما بين خيوط الوشي)

زرا ذهبيا

يتأرجحْ!

وقف «الأغرابُ» في بوابة الصمتِ المملَّح

يشهرون الصلفَ الأسود في الوجهِ سلاحا

ينقلون الأرضَ: أكياسا من الرملِ

وأكداسا من الظل

على ظهر الجواد العربي المترنِّحْ!

ينقلون الأرضَ..

نحو الناقلاتِ الراسياتِ ـ الآن ـ في البحرِ

التي تنوي الرواحا

دون أن تطلقَ في رأس الحصانْ

طلقة الرحمة..

أو تمنحه بعض امتنانْ!

عِمْ صباحًا أيها الصقرُ المجنحْ

عمْ صباحا

سنة تمضي.. وأخرى سوف تأتي

فمتى يقبل مَوْتي..

قبل أن أصبحِ ـ مثل الصقرِ ـ

صقرًا مستباحا؟!

قالت امرأة في المدينة

ـ ١ ـ

سيفُ جدي على حائط البيت يبكي:

وصورته في ثيابِ الركوبْ!

ـ ٢ ـ

قالت امرأةٌ في المدينة

من ذلك الأمويُّ الذي يتباكى على دم عثمان؟!

من قال إن الخيانة تنجب غير الخيانة؟

كونوا له يا رجال..

أم تحبّون أن يتفيأ أطفالُكم تحت

سيف ابن هندْ؟

...   .

ربما رَدّت الريحُ ـ سيدتي ـ نصف ردْ

ضَاعَ.. وابتلعته الرمال!

نحن جيلُ الحروب...

نحن جيل السباحة في الدمِ..

ألقتْ بنا السفنُ الورقيةُ فوق ثلوج العدم

(قبضاتُ القلوب

ـ وحدها ـ حطمتها.. وما زال فيها الأسى والندوب..)

نحن جيلُ الألم

لم نر القدس إلا تصاويرَ

لم نتكلم سوى لغة العرب الفاتحين

لم نتسلمْ سوى راية العربِ النازحينَ

ولم نتعلم سوى أن هذا الرصاصَ

مفاتيحُ باب فلسطين

فاشهدْ لنا يا قلمْ

أننا لم نَنَمْ

أننا لم نقف بين «لا» و «نعمْ»

ما أقل الحروفِ التي يتألف منها اسمُ ما ضاعَ من وطن..

واسمُ منْ مات من أجلهِ..

من أخٍ أو حبيبْ!

هل عرفنا كتابةَ أسمائنا بالمدادِ

على كتب الدرسِ؟

ها قد عرفنا كتابة أسمائنا

بالأظافر في غرف الحبسِ

أو بالدماء على جيفة الرملِ والشمسِ

أو بالسوادِ على صفحات الجرائدِ قبل الأخيرةِ

أو بحداد الأرامل في ردهات (المعاشاتِ)..

أو بالغبار الذي يتوالى على الصورِ

المنزلية للشهداء

الغبار الذي يتوالى على أوجه الشهداء..

إلى أن.. تغيبْ!!

قالت امرأة في المدينة:
من يجرؤ الآن أن يخفضَ العلمَ القرمزي
الذي رفعتْه الجماجمْ
أو يبيع رغيف الدم الساخنِ المتخثر فوق الرمال
أو يمد يدا لِلعظَامِ التي ما استكانتْ
(وكانت رجالْ..)
كي تكونَ قوائمَ مائدةٍ للتواقيع
أو قلمًا
أو عصا في المراسمْ؟!

... ...

لم يجبها أحدْ..
غيرُ سيفٍ قديمٍ..
وصورةِ جد!

إلى محمود حسن إسماعيل
في ذكراه

واحدٌ من جنودكَ يا سيدي

قطعوا يوم مؤتةَ مني اليدينْ

فاحتضنتُ لواءك بالمرفقينْ

واحتسبتُ لوجهك مُستَشْهَدِي!

واحدُ من جنودك ـ يا أيها الشعرُ ـ

هل يصلُ الصوتُ؟

(والريحُ مشدودةٌ بالمساميرِ)

هل يصلُ الصوتُ؟

(والعصافيرُ مرصودةُ بالنواطيرِ!)

هل يصل الصوتُ؟

أم يصلُ الموتُ؟

قل لي فإني أناديكَ

من زمن الشعراء ـ الأناشيدِ

للشعراء ـ السجاجيدِ

من زمن الشعراء ـ الصعاليكِ

للشعراءِ ـ المماليكِ

أرسم دائرة بالطباشيرِ

لا أتجاوزُها!

كيف لي؟ وأنا أتمزَّق ما بين رُخينِ؟!

والقدمانِ معلقتان بفَخَّين!

أعياني الكرُّ والفرُّ

واجتازني الخيرُ والشرُ

أيسرْ.. تيسَّرتُ.. حتى تعسَّرتُ.. حتى تعثَّرتُ

أيمنْ. تيمنتُ.. حتى تيممتُ.. حتى تيتمتُ.

أين المفر؟ وأين المقرْ؟

للخفافيشِ أسماؤها التي تتسمى بها!

فلمن تتسمى إذا انتسب النورُ!

والنور لا ينتمي الآن للشمسِ

فالشمسُ هالاتُها تتحلَّق فوق العقالاتِ

هل طلع البدرُ من يثربٍ أم من الأحمدي؟

وبانت سعادُ..

تراها تبين من البُردة النبوية

أم من قلنسوة الكاهنين الخزَرْ؟

واحدٌ من جنودك يا سيدي

ألفُ بيت وبيتْ

واحتوتك الكويت

فعرفتُ بموتِك أين غدي!

واحدٌ من جنودك ـ ياأيها الشعرُ ـ!

كل الأحبةِ يرتحلونَ

فترحل شيئًا فشيئا من العين ألفةُ هذا الوطنْ

نتغربُ في الأرض نصبح أغربة في التأبين

ننعَي زهورَ البساتينِ

لا نتوقفُ في صحفِ اليوم إلا أمام العناوينِ

نقرؤها دونَ أن يطرف الجفنُ

سرعان ما نفتحُ الصفحاتِ قُبيل الأخيرة..

ندخل فيها نجالسُ أحرفَها..

فتعود لنا ألفةُ الأصدقاء.. وذكرى الوجوهِ

تعود لنا الحيويةُ والدهشةُ العرضيةُ

واللونُ.. والأمنُ.. والحزنُ

هذا هو العالمُ المتبقي لنا: إنه الصمتُ

والذكرياتُ.. السوادُ هو الأهلُ والبيتُ

إن البياضَ الوحيدَ الذي نرتجيه

البياض الوحيدَ الذي نتوحَّد فيه:

بياضُ الكفنْ!

واحدٌ من جنودكَ يا سيدي

خبزه خبزُ ضيقْ

ماؤه بلُّ ريقْ

والمماتُ بعينيهِ كالمولدِ

واحدٌ من جنودكَ يا سيدي

يركعُ الآن مُتَّكئًا فوْق حدِّ الحُسامْ

ربما كان ينشُد جوهرةً تتخبّأ في الوحلِ

أو قمرًا في البحيراتِ..

أو فرسًا نافرًا في الغمامْ

ها هو الآن.. لا نهر يغسلُ فيه الجروحْ

وينهل من مائه شربة تمسك الروح

لا منزل لا مقامْ

فعلى الراحلينَ السلامْ

والسلامُ على منْ أقامْ.

١٩٨١

تذييل

يضم هذا الديوان القصائد الأخيرة التي كتبها أمل دنقل (١٩٤٠ ـ ١٩٨٣) طوال فترة مرضه الذي صارعه أربع سنوات. من أوائل سبتمبر ١٩٧٩ إلى أواخر مايو ١٩٨٣ .. ولم نجد لهذا الديوان عنوانا أكثر صدقا من «أوراق الغرفة (٨)» فالديوان ينطوي على أوراق أمل الأخيرة، والغرفة رقم (٨) هي آخر الغرف التي قاوم فيها أمل مرضه، قرابة عام ونصف في الدور السابع من «المعهد القومي للأورام» من فبراير ١٩٨٢ إلى يوم رحيله الساعة الرابعة من صباح السبت، الحادي والعشرين من مايو ١٩٨٣.

و«الجنوبي» هي الورقة الأولى من هذا الديوان ولكنها الورقة الأخيرة في رحلة إبداع أمل دنقل فقد كتبت في فبراير ١٩٨٣، وتنطوي على رؤيا النهاية التي اكتملت دائراتها بعد تأملات الغرفة (٨) عام ١٩٨٢، تلك التأملات التي صاغتها قصائد: «ضد من»، «زهور» (وكانت الكتابة النهائية لكلتيهما في مايو ١٩٨٢) و«لعبة

النهاية» (الكتابة النهائية في يونيو ١٩٨٢) و «السرير» (نوفمبر ١٩٨٢).

وهناك قصائد أخرى ـ في هذا الديوان تنتمي إلى تاريخ مقارب، منها «الطيور» و«الخيول» وقد كتبت كلتاهما عام ١٩٨١، ولكن أمل ظل يغير ويبدل فيهما ـ كعادته في الحرص على أقصى درجات الدقة اللغوية، وأقصى درجات التجانس البنائي ـ إلى أن استقر على الصياغة الأخيرة لـ«الطيور» في أكتوبر من عام (١٩٨٢) والصياغة الأخيرة لـ«الخيول» في أواخر ديسمبر من العام نفسه، وعلى العكس من هاتين القصيدتين ما زالت قصيدته في الذكرى الرابعة لمحمود حسن إسماعيل ـ إبريل ١٩٨١ ـ تنتظر اللمسة الأخيرة ولم نملك سوى أن نستخلصها من آخر مسوداتها.

أما بقية قصائد هذا الديوان فترجع إلى فترة زمنية تمتد من عام ١٩٧٥ ولا تمثل هذه القصائد كل ما كتبه أمل دنقل في المرحلة السابقة على مرضه، ولكنها أكثر ما وجدته السيدة زوجته ـ عبلة الرويني ـ من قصائد هذه المرحلة، اتساقا مع الدلالات الأساسية التي ينطوي عليها هذا الديوان.

قصائد متفرقة



إلى صديقة دمشقية

إذا سباكِ قائد التتارْ

وصرتِ مَحْظِيَّه..

فشد شعرًا منك في سُعارْ

وافتض عذريه..

واغرورقت عيونك الزرقُ السماويه

بدمعة كالصيف ماسيِّه

وغبت في الأسوارْ

فمن ترى يفتح عين الليل بابتسامة النهارْ؟

* * *

مازلتُ رغم الصمتِ والحصار

أذكر عينيك المضيئتين من خلف الخمار

وبسمة الثغر الطفوليه..
أذكر أمسياتنا القصار
ورحلة السفح الصباحيه
حين التقينا نضرب الأشجار
ونقذف الأحجار
في ماء فسقية!

* * *

قلتِ ـ ونحن نُسدل الأستار
في شرفة البيت الأماميه
لا تبتعدْ عنّي
انظرْ إلى عيني
هل تستحق دمعةً من أدمُع الحزنِ؟
ولم أُجبْك.. فالمباخر الشاميه
والحب والتذكار طغتْ على لحني
لم تبقِ منّي وهمَ أغنيه!
وقلتُ.. والصمت العميق تدقُّه الأمطار
على الشوارع الجليديه

عدتُ إليك بعد طول التِّيه في البحار

أدفن حزني في عبير الخصلاتِ الكستنائيه

أسير في جَناتك الخضر الربيعيه

أبل ريق الشوق من غُدرانها..

أغسل عن وجهي الغبار!!

نافحتُ عنك قائد التتار

رشقتُ في جواده.. مُديه

لكنني خشيتُ أن تَمَسَّكِ الأخطار

حين استحالت في الدجى الرؤيه

لذا استطاع في سحابة من الغبار

أن يخطف العذراء.. تاركا على يدي الإزار

كالوهم.. كالفريه!

* * *

(ما بالنا نستذكر الماضي دعي الأظفار..

لا تنبش الموتى.. تُعري حرم الأسرار)

* * *

يا كم تمنت زمرة الأشرار

لو مزقوا تنورة في الخصر.. بُنَيَّه
لو علموك العزف في القيثار
لتطربيهم كل أمسيه
حتى إذا انفضت أغانيك الدمشقيه
تناهبوك.. القادةُ الأقزامُ.. والأنصارْ
ثم رموك للجنود الإنكشاريه
يقضون من شبابك الأوطار!

* * *

الآن.. مهما يقرع الإعصار
نوافذ البيتِ الزجاجيه
لن ينطفي في الموقد المكدود رقصُ النار
تستدفئ الأيدي على وهج العناق الحار
كي تُولد الشمسُ التي نختار
في وحشة الليل الشتائيه!

أيلول ١٩٦٦

عشاء

قصدتُهُم في موعد العشاءْ

تطلعوا لي برهة

ولم يردّ واحدٌ منهم تحية المساء!

وعادت الأيدي تراوح الملاعق الصغيرة

في طبقِ الحساءْ

* * *

نظرتُ في الوعاء

هتفت: «ويحكم. دمي

هذا دمي.. فانتبهوا»

لم يأبهوا!

وظلتِ الأيدي تروإح الملاعق الصغيرة

وظلت الشفاه تلعق الدماء!

البطاقة السوداء

«إلى أنور المعداوي»

أراه من نوافذ المترو.. على محطات الوقوف

مستندًا بكتفه اليسرى إلى الجدارْ

يُدير في إصبعه سلسلةً

فضية الإطار

يَرْقب ـ باسمًا ـ تَزَاحُمَ المناكبِ القصير

تمسح عيناه زجاج النافذات الأبيض الشفيفْ..

كأنه يبحث عن أحد..

كأنه يرقبُ من شرفته..

هرولة السارين في تساقط الأمطار والبرد!

لكنني..

حين استقرت عينهُ عليّ:

أدرتُ رأسي عنه..

لم أقو على بريق عينيه المخيفْ!

* * *

وحينما تحملُني وأصدقائي في الطريق.. موجةُ المرحْ

ونسترد روحنا في الضحكات والغناء.

أبصره.. في الجانب الآخر يرنو مستخفًا.. باسمًا

فإن تجاوزناه.. ألقى عقب سيجارته على الطوارْ

وداسه مغمغمًا..

ثم اختفى..

كأنه شبحْ!

وفي طريق العودةِ الليليّ.. ألقاهُ

يخرج من جوف الظلام فجأة.. على غير انتظار

كأن بابًا ـ في الشتاء ـ مغلقًا.. قد انفتح

كأن تيارًا من الهواءْ

يكنس من أعصابي الدفء.. وينساهُ!

يمرُّ بي.. مدثرًا بالمعطف الثقيل..

هادئ الخُطى..

تلمع في الظلام عيناهُ

يسأل ـ هامسًا ـ عن الوقت بلا اكتراثْ

ويختفي...

كأن إحدى الشجرات احتضنتهُ..

صَيّرتْهُ بعض ظلها الكثيفْ!

وفي سويعات الضُحى المشمسة المعتدله

حين تنقرُ العصافير ثمار التوت..

مستدفئة من لذعة الخريفْ

أجلسُ في المائدةِ المنعزلهْ..

محدثا صديقتي..

في ذلك المقهى الربيعي الأليفْ

حيث يمرُّ النيل راعيًا مغنيًا

ويرفع الصباحُ راية الفرحْ ـ

مرتشفين من عصير الكلمات.. والثمارْ

معتنقين في ضمائر الحروفْ..

وفجأة..

يسقط من يدي القدحْ

ألمحهُ ممدًا ساقيه في المائدة المقابلهْ

يرمقني من خلف نظارته السوداء خفية..

مخبئًا بسمتهُ خلف صحيفة الصباح.. المهملهْ!

* * *

وعندما دخلتُ «باراداي» في اليوم الأخيرْ

رأيتهُ.. يخترقُ المقاعد الملقاة والأضواءْ

ويفتح الصنبور

مشعث الشعر.. يضجُ قلبه بالرعب واللهاثْ

تساقطت ـ قبل اغتساله ـ على الحوض النقي بقعة حمراء

لكنه لم يكترثْ!

رجَّل في المرآة شعرَه الغزيرْ

ثم دنا من جمع أصدقائيَ الصغيرْ

مقلبًا عينين في الوجوه.. صامتا

وفجأة..

ألقى إلينا ورقة دون اكتراثْ

ودون أن يلتفتا..

مضى إلى الخارج

تاركا على المنضدة الحيرى بطاقتهْ

كانت بطاقةً سوداء

....

ومات في المساءْ!

لا أبكيه

مصرُ لا تبدأ من مصر القريبهْ إنها تبدأ من أحجارِ «طيبهْ»

إنـــهـــا تـــبـــدأ مـــنـــذ انطبعتْ قدمُ الماء على الأرض الجديبهْ

ثوبها الأخضر لا يبلى.. إذا خلعته.. رفت الشمس ثقوبهْ

إنها ليست عصورا فهي الكلُّ في الواحدِ.. في الذات الرحيبه

أرضها لا تعرف الموت فما الموت إلا عـــودة.. أخـــرى.. قريبه

تعبر القطرة في النيل فمن حولها الرقص وأعياد الخصوبه

فـإذا البحر طـواهـا.. نَـفَـرَتْ واسترد الماء في الوادي دروبهُ

وأعـــاد الـــمـــاءُ للنيل هروبه واسترد الماء في مصر العذوبه

فسقى الـنـيـل بـه ـ ثـانـيـة ـ ظمأ البحر إذا ما مـدَّ كُوبه!

هـكـذا شعبُك يـا مـصـر: له دورة الماءِ ونجواه الرطيبه
ماتَ فيه الموتُ يومًا. فابتنى هرمًا للموت يستجلي غيوبهْ
أبـــدا يـبـنـي ويـأتــي غـيـره نـاشـرا فيه أسـاهُ وحـروبـهْ
فـإذا راح ابتنى ثـم ابتنى فانثنى الغازي إليه بالعقوبه!
وكأن الذلَّ في الشعب ضريبه وابتسام الصبرِ قد صار ذنوبه
وكـأن الـدم نـيـلٌ آخـرٌ تستقي منه الرمالُ المستطيبهْ
كـلُّ أبنائك يـا مصرَ مَـضَـوْا شهداء الغد في نبلٍ وطيبهْ
الذي لم يقضِ في الحرب قضي وهو يعطي الفأس والغرس وجيبهْ
والذي لم يقض في الفأس قضى حاملا أحجار أسـوان الرهيبه
اسمعي في الليل أنات الأسى اسمعي حزن المواويلِ الكئيبهْ
إنها أسماءُ من مـاتـوا.. ولم يبرحوا القلب فقد صاروا ندوبهْ
سيعودون.. فلا تبكي.. فما يرتضي المحبوب أن تبكي الحبيبه
أتـرى تبكين من مـات.. لكي تستعيدي راية الفكر السليبهْ
والـذي مـات لكي ينقش في كل قلبٍ ناشئ حرف العروبهُ
ولكي يحتضن الطفلُ حقيبهْ ولكي تقتات بالعلم الشبيبه

ولكي يهوي حجابُ الخوف عن روح ربّات الحجالِ المستريبَهْ

ولكي يرفع سيفُ العدل في وجـهِ أبناء المماليك الغريبه

والــذي لــولاه مـا مـرت لنا في عبور النار للحرب ـ كتيبه

أتــرى تبكينَ يـا مـصـر؟ أنا لست أبكيه وإن كنت ربيبهْ

شـرفُ الأبناء أن يمضي أبٌ بعد أن قــدم للمجد نصيبه

شــرفٌ لــلأبِ أن يمضي فلا تعتري أبناءهَ الــروحُ الزغيبة

إنما يبكي ضعافُ الناسِ إن عجزوا أن يدركوا حجم المصيبهْ

١٩٧٣م

العرّاف الأعمى

قولي من أينْ؟

الصمتُ شظايا..

والكلماتُ بلا عينْين!

...   .

لملمني الليل.. وأدخلني السردابْ

(قدماي نسيتهما عند الأعتاب

ويداي تركتهما فوق الأبواب)

إنك لا تدرين

معنى أن يمشي الإنسان.. ويمشي..

(بحثًا عن إنسان آخر)

حتى تتآكل في قدميه الأرض..

ويذوي من شفتيه القولْ!

آلاف الأوجه في وجهي..

لكنك لا تدرين

أي وجوهٍ تتدلى منها بسماتُ الزيفْ

ضائعة المعنى.. متآكلة الأنف

... ...

أرشق في الحائط حدَّ المطواهْ

والموت يهب من الصحفِ الملقاهْ

أتجزأُ في المرآه

يصفعني وجهي المتخفِّي بقناع الذل

أصفعه.. أصفع هذا الظلْ

كل الناس يفارقهم ظِلُّهمُ عند الليلْ

إلا ظلي...

ينسلُّ معي.. يتمددُ فوق وسادي المبتلْ!

البسمةُ حلم

والشمسُ هي الدينارُ الزائفْ

في طبق اليوم

منْ يمسح عني عَرَقِي في هذا اليوم الصائفْ؟

والظل الخائف

يتمددُّ منْ تحتي.. يفصلُ بين الأرض.. وبيني!

... ...

وتضالت كحرف مات بأرض الخوفْ

(حاء.. ياء.. هاء)

(حاء.. راء.. هاء)

الحرفُ السيفْ

ما زلتُ أرودُ بلاد اللون الداكنْ

أبحثُ عنه بين الأحياء الموتى.. والموتى الأحياء

حتى يرتد النبضُ إلى القلبِ الساكنْ

لكن..!

... ...

وأخيرًا عدتْ

أحمل في صدري صمت الطاعةْ

وبلا... ساعةْ

ما جدوى الساعة في قوم قد فقدوا الوقتْ؟

ورجعت بدون كتابٍ غيرِ كتاب الموتْ..

وضجيجُ الناس

أغنيةٌ.. كغطيط نعاس

«لم نولد لنهزَ الدنيا»

«لم نخلقْ لنخوضَ معاركْ!»

«نحنُ ولدنا..

للإلهام..

للأحلامْ..

للصلواتْ..»

* * *

ضُميني في صدرك.. حتى أتنبأ

وأنا لا أكتبُ.. أو أقرأ

١٩٧٤

نجمة السراب

صديقتي شدتْ على يدي..

وقالت: لن أزور غرفتك

إن شئت. فلنبق معا إلى الأبدْ

ولم أردْ

لأن ثوب العُرس ـ في معارضِ الأزياءْ ـ

نجمةٌ تدور في سراب..

ولم أزلْ أدقُّ بابًا بعد بابْ

وخطوتي تنهيدة.. وأعينُي ضباب

حتى بلغت غُرفتي في آخر المطافْ

وقطتي تلذْ...

مُواؤها: عذابُ أنثى ليلة المخاضْ

أنثى وحيدة.. تلد.

وأخلد الجيرانُ للسكونْ

وقطهم يجلس ـ في الشباك ـ ناعس العيون

يلعق في فرائهِ المنقَّط البياضْ

يلعق ـ عن فرائه ـ عذابَ قطتي المحتد

سعتْ إليه ذات ليلة..

ولم تسله ثوبًا للزفافْ!

لأن ثوب العرسِ

في معارض الأزياءْ

نجمة تدور في السرابْ!!

أيدوم النهر؟

أيدومُ لنا بستانُ الزهرْ

والبيتُ الهادئ عند النهرْ

أم يسقط خَاتَمُنَا في الماءْ

ويضيع.. يضيع مع التيار

وتُفَرقنا الأيدي السوداء..

ونسير على طرقات النارْ..

لا نجرؤ تحتَ سياط القهرْ

أن نلقي النظرةَ خلفَ الظهر

ويغيب النهر

* * *

أيدوم لنا البيتُ المرحُ

نتخاصمُ فيه ونصطلحُ

دقّاتُ الساعة والمجهول

تتباعد عني حين أراك

وأقول لزهر الصيف.. أقولْ

لو ينمو الوردُ بلا أشواكْ

ويظل البدرُ طوال الدهرْ

لا يكْبُر عن منتصف الشهرْ

آهٍ يا زهرْ.

لو دمت لنا..

أو دام النهرْ

١٩٨٠


MUNITA ITALIANA
ISBN 978-977-09-2936-0
9 789770 929360
دار الشروق
www.shorouk.com